٥٢

تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) السنة الحادية عشرة - ١٥ صفر / ١٤٢٧هـ

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

الانتصار

للنَّبِيِّ المُخْتار
سيِّدِ المُهاجِرينَ والأنْصار

عدد خاص

بالواقعة الدنماركية

التي مسّت جناب سيد البشرية ﷺ

الأصالة
أشعر أنها اسمٌ على مسمّى إن شاء الله
الشيخ العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله
مجموع فتاويه
(رقم ٦٣١٨)

الناشر
مركز الإعلام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة ٥٢

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة الحادية عشرة — تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) الناشر (مركز الإمام الألباني للدرسات المنهجية والأبحاث العلمية)

١٥/ صفر ١٤٢٧هـ

أسرة التحرير

رئيس التحرير:

الشيخ/ د. محمد بن موسى آل نصر

مدير التحرير:

الشيخ/ علي بن حسن الحلبي الأثري

الأعضاء:

الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي

الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان

عنوان المراسلة

الأردن

ص.ب (٢٦٩٩) الرمز البريدي (١٣٧١٣).

هاتف : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

فاكس: ٣٦١٠٣٠٦ - ٥ - ٠٠٩٦٢

موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

www.albanicenter.net

البريد الإلكتروني:

albani1421@hotmail.com

ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات

ثمن النسخة

الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤ دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

الاشتراكات

- للملكة العربية السعودية (١٠٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٣٠ دولاراً).
- أوروبا (٣٥ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داعٍ على الحق . .

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

صاحب الامتياز والمالك: (شركة الأصالة للاستشارات الثقافية)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/ ٣/ ١٣٢٨)- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٢/ ٢٢٠٣/ د).

إنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

محتويات العدد

. **فاتحة القول:** خطوات عملية للانتصار لسيد البشرية

أسرة التحرير ٥

. **تأملات قرآنية:** كان خُلُقه ﷺ القرآن

فضيلة الشيخ هشام بن فهمي العارف ٧

. **الكلم الطيب:** المقتبس من فوائد حديث أنس

فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي ١١

- تعظيم قدر رسولنا ونصرته

فضيلة الشيخ محمد بن موسى آل نصر ١٥

- الصارم المسلول على شاتم الرسول

فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي ١٨

- بيننا وبينهم!

فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي ٢٣

- الانتصار لرسول الله محمد ﷺ

الشيخ خالد بن عبدالرحمن الشايع ٢٦

- المحبة والنصرة بين الشرع والعاطفة

فضيلة الشيخ سعد الحصين ٣٧

- المعنى الصحيح لمحبة النبي ﷺ، وانقسام الناس فيها

الدكتور محمد خليفة التميمي ٤٢

- نظرة تأصيلية شرعية في المقاطعة الاقتصادية (١)

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ٥٠

- وقفات مع المقاطعة

خالد بن عثمان ٥٥

- المقاطعة، وحكم الشرع فيه

فضيلة الشيخ عبدالله العبيلان ٥٩

- **من الصحف (١):** ظاهرة الإساءة إلى الإسلام

طاهر العدوان ٦٣

(٢) المسلمون وحدتهم العقيدة

نزيه الأردني ٦٥

- الاستهزاء بالنبي محمد ودينه من أعظم موارد الإرهاب

الدكتور عاصم القريوتي ٦٧

- كلمة حقّ

فضيلة الشيخ زيد المدخلي ٧١

- شد الهمة لنصرة نبي الأمة

فضيلة الشيخ أكرم بن محمد زيادة ٧٣

- ... ليس من النصرة

سامي بن عبدالعزيز ٧٨

- والله ناصرٌ رسولَه رغم أنوف المستهزئين

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ٨١

- وصايا شرعية لنصرة خير البرية

أم عبدالله نجلاء الصالح ٨٤

- **مسك الختام:** بين المساجد والمراقد!!

أسرة التحرير ٩٠

خطوات عمليّة للانتصار لسيِّد البشريّة

• بقلم: أسرة التحرير

إن نصرة النبي ﷺ والتصدي لمن أساء إليه وسخر منه لا تكون بمجرد الكلمات والشعارات كما قيل:(أسمع جعجعة ولا أرى طِحناً)، بل ينبغي أن تُترجم إلى خطوات عملية حاسمة منبثقة عن عقيدة راسخة مؤمنة بحب هذا النبي الكريم ظاهراً وباطناً، فلا ندع أمراً من أوامره، ولا سنة من سننه ﷺ إلا بادرنا إليها قدر وسعنا وطاقتنا، وأن نجتنب كل ما نهى عنه وزجر، وأن نتحاكم إلى شريعته –التي هي أكمل الشرائع– الصالحة لكل زمان ومكان، والتي ارتضاها الله لخلقه جميعاً ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن نصرته: ألا نقدم على هديه ﷺ قولاً ولا فعلاً ولا عادة ولارسماً، وأن نعود إلى منهجه وعقيدته وسنته وشريعته، وأن نحيي سنته ونُؤْثِرها على البدع والعوائد التي أحدثها الناس، وما صدَّروه لنا من نظم وقوانين غربية أو شرقية، يراد بها سلخ الأمة الإسلامية عن دينها الحق، وكيف تُنصر أمة الإسلام نبيها ودينها وكتاب ربها وهي مفككة مفرقة كأيدي سبأ، تنكبت الصراط المستقيم؛ – إلا من رحم الله – فتفرق بها عن سبيله ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فلا بد لأمة الإسلام – إذا أرادت نصرة رسول الله ﷺ حقاً – أن تجتمع على كلمة سواء، وأن توحد صفوفها على كلمة التوحيد؛ لأن الضعفاء المتفرقين لا وزن لهم في عالم اليوم، عالم التكتلات، عالم القوى الاستعمارية العظمى.

ومن المؤسف أن أعداء هذة الأمة يتعاملون معها بميزان ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[هود:٩١].

وقد رأينا كيف هاب العالمُ المسلمين في غضبهم لنبيهم ﷺ حينما اعتُديَ على جنابه الشريف، وكيف أعمل سلاح المقاطعة (الذي سَبَبُه العقيدةُ)، وسحب السفراء،

والاحتجاجات عملَه في المستهزئين، عبدة الدينار والدولار والذهب والفضة.

لقد ظن هؤلاء السفهاء أن أمة الإسلام ماتت، فلن تقوم لها قائمة -حتى لو نالوا من مقام نبيها ودينها وقرآنها-، ولكن هيهات هيهات، خابوا وخسروا، فهذة الأمة كالغيث المدرار، لا ينقطع خيرها ما بقي الليل والنهار.

فلا بد أن نرجع الى الإسلام الصحيح كتاباً وسنة، وبفهم سلف الامة؛ لنُنْصَرَ بالرُّعب، ويُمكَّنَ لنا في الأرض، ويُحسب لنا ألف حساب، ونُحترم كما يُحترم الأقوياء، ونُهاب كما يُهابون، فيُمسكوا ألسنتهم وأقلامهم من التعرض لهم خشية بطشهم وسطوتهم.

لا بد من إقامة شرع الله ودينه، وأخلاق رسوله ﷺ في المجتمعات الإسلامية كلها، ونشرها في العالم بكل وسيلة شرعية متاحة، لا بد من تعريف الأجيال بعظمة الرسول ﷺ وأخلاقه وإنجازاته وسيرته وشمائله.

ولا بد من إبراز أقوال المنصفين، من مفكري الغرب الذين مدحوا الإسلام ونبي الإسلام ؛ لأن الحق ما شهدت به الاعداء، فندعو سُفهاءَهم إلى الاقتداء بعقلائهم ومنصفيهم، الذين عرفوا حقيقة الإسلام وعظمته وعظمة نبيه ﷺ.

وأمة الإسلام مدعوَّة إلى الإستفادة من التقنية المعاصرة، وتسخير شبكة المعلومات العالميّة للتعريف بدين الإسلام ونبي الإسلام بكل اللغات؛ لإقامة الحجة على العالَمين، لنخاطب القوم بلغاتهم، وندخل عليهم الباب، ونبدد بنور الحق ظلمات باطلهم.

وإن ترجمة السيرة النبوية العطرة، باتت أمراً ملحاً في ظل هذا الجهل المخيم حول أعظم شخصية عرفها التاريخ، ومن جهل شيئاً عاداه.

وأخيراً لا بد لعلماء الأمة أن يجتمعوا ويتشاوروا بينهم، ويحثوا حكام بلادهم -بالّتي هي أحس لِلّتي هي أقوم- على نصرة الإسلام، وقضايا المسلمين، وأن يُحَكِّمُوا شرع الله في شعوبهم بنبذ القوانين الوضعية التي هي مِن أعظم الخذلان لدين الرسول ﷺ بلسان الحال، والتي هي من أسباب هزائم أُمتنا المتتالية، ومن أسباب تسلط أعداء هذه الأمة على رقابها، والقرآن والسنة شاهدان على ذلك، قال -تعالى-: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور:٥٥].

وقال ﷺ:« إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم ».

فهل نحن ناصرون لديننا ونبينا لينصرنا الله؟! وما ذلك على الله بعزيز.

كان خُلُقه ﷺ القرآن

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف

حسن الخلق مِن صفة الأنبياء -عليهم الصّلاة السّلام- والأولياء، وهو اعتدالها بين طرفي مذمومها، ومخالقة الناس بالجميل والبِشر والتودد، والاحتمال لهم، والإشفاق عليهم، والحلم والصبر في المكاره، وترك الاستطالة والكبر على الناس، والمؤاخذة، واستعمال الغضب والسلاطة والغلظة.

لقد امتدح الله -تعالى- نبيه محمداً ﷺ من فوق سبع سماوات فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] أي: وإنك مفطور على خُلقٍ عظيم، وهذه الآية -أيضاً- بمثابة الرد على ادعاء المشركين الذين وصفوه بالجنون، لأن أخلاق المجانين مذمومة، بل لا أخلاق لهم، وهذا أقصى مراتب العلو في الخلق.

«وقد أُكِّد هذا السياق بعوامل المؤكدات باندراجه في جواب القسم الأول في أول السورة وبإن اللام في(لَعَلى)، وجاء بـ (عَلَى) الدالة على الاستعلاء والتمكن بدل من (ذو) مثلاً (ذو خلق عظيم)؛ لبيان قوة التمكن والاستعلاء وأنه ﷺ فوق كل خلق عظيم متمكن منه مستعل عليه»[1] .اهـ

قال العوفي عن ابن عباس: «وإنك على دين عظيم هو الإسلام»، نقل هذا القول ابن كثير وقال: «وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسُّدِّي، والربيع بن أنس، وكذا قال الضحاك، وابن زيد».

وإلى هذا ذهب ابن عيينة، وأخذه أحمد عن ابن عيينة، وقال ابن تيمية: «فإن الدين والعبادة والخلق ألفاظ متقاربة المعنى في الذات وإن تنوعت في الصفات».

وقد عُنِيَ أصحاب رسول الله ﷺ -رضوان الله عنهم- بقضية أخلاقه بعد نزول هذه الآية، فسألوا عائشة -رضي الله عنها- عن ذلك، فقالت: «كان خلقه القرآن».

وعُنِيَ بها العلماء بالتأليف، كـ«الشمائل» للترمذي.

---

(١) «أضواء البيان» (٥/ ٤٢٩).

قال الشنقيطي: «والمتأمل للقرآن في هديه يجد مبدأ الأخلاق في كل تشريع فيه حتى في العبادات ، ففي الصلاة؛ خشوع وخضوع وسكينة ووقار ، «فأتوها وعليكم السكينة والوقار» ، وفي الزكاة؛ مروءة وكرم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٣]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩]، وفي الصيام؛ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، وقوله ﷺ: «الصيام جُنَّة»، و: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧] ، و.. و... ».

والله -تعالى- أرشد نبيه ﷺ إلى الصبر، والحِلم، والصفح ، وسعة الصدر، ومتابعة قيامه بوظائف رسالات ربه، بأسلوب الثناء عليه بأنه ﴿ ... لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، لأن النبي ﷺ أدرك تلك الدرجات العُلى، ومن خلال توجيه ربه -عز وجل- فيما تقدم كقوله -تعالى- على سبيل المثال-: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾[المدثر:٧]، وقوله -تعالى- : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل:١٠].

ومعلوم كم يحتاج خلق الصبر من الهمة والانضباط!

والصبر عند العرب ليس من التذلل في شيء، كما يصبر المضطهد العاجز، بل هو أصل القوة، والعزم، قال الفراهي في كتابه «مفردات القرآن»، وكثر في كلام العرب استعماله بهذا المعنى، واستشهد على قوله بما قالته شعراء العرب، ثم قال: والقرآن بيَّن معنى الصبر في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ ﴾[البقرة: ١٧٧]، فذكر من مواطن الصبر: الفقر، والمرض، والحرب، وذلك أصول الشدائد.

وقد نقل فضل الله الجيلاني في كتابه «فضل الله الصمد» (١/ ٣٧١) ما ورد في «اللمعات» :

«كانت العرب أحسن الأمم أخلاقاً ولكنهم ضلوا بالكفر عن كثير منها وخلطوا بها أحكام الجاهلية، فبعث الله النبي ﷺ ليتمم محاسن الأخلاق».ا هـ

لذلك؛ لما جاءهم الكتاب الكريم خالطت أحكامه قلوبهم، وأيقظت أرواحهم، وجعلتهم يتلمسون الحق، وتصبو نفوسهم لرفع مناره ونشره في أطراف الأرضين ، وقد بلغوا في العبادة مبلغاً وصاروا أولي قوة في الدين، وحزم في لين، وإيمان في يقين ، وحرص على علم، وعلم في حلم، وقصد في غنى، وخشوع في عبادة، وتجمُّل في فاقة، وصبر في شدة، وطلب في حلال، ونشاط في هدى، وتحرُّج في طمع.

ومع بلوغهم هذه الدرجة فإن لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في مكارم الأخلاق ومعاليها .

وقد أجمل الله -تعالى- الخلق العظيم في سورة القلم ، وهو أعم ما امتدح الله به رسوله ﷺ في كتابه العزيز في بداية التنزيل، فهو أول ما نزل في حقه ﷺ ليثبت الله - سبحانه وتعالى- ما سوف يأتي به من معانٍ للأخلاق السامية الرفيعة العظيمة في شخص نبيه ﷺ الذي اتهمه ورماه أعداء الله وأعداء الدين والمكذِّبون به بوصف مشين بقولهم: (مجنون)! فقد أرادوا بهذا الوصف: اتهامه بالضلال للطعن بما يدعو إليه من الهدى وهو طريق الحق وسبيل الرشاد، واتهامه باتباع الهوى للطعن بطريقة تزكية النفس وكيف يفلح صاحبها، بعد أن سمعوا من قوله -تعالى- في سورة (العلق) و(المدثر) و(المزمل) ، ما جعلهم يدركون بحق أن محمداً ﷺ في نعمة لا تماثلها نعمة ألا وهي نعمة النبوة والقرآن .

فكل خلق حسن أَمَرَ به القرآن فالنبي ﷺ أحقّ الناس به ، وكل خلق سَيِّئ نهى عنه القرآن فالنبي ﷺ أبعد الناس منه، وكل ذلك جِبِلَّةٌ فيه ﷺ مقدراً مِن الله -تعالى- .

قال الإمام السندي: «وكون خُلُقِه القرآن هو أنه كان متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه ومحاسنه، ويوضحه أن جميع ما قصِ الله -تعالى- في كتابه مِن مكارم الأخلاق مما قصه من نبي، أو ولي، أو حث عليه، أو ندب إليه، كان ﷺ مُتخلقاً به، وكل ما نهى الله -تعالى- عنه ونزه كان ﷺ لا يحوم حوله».اهـ

وقد وصف أنس بن مالك -رضي الله عنه- النبي بقوله : «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقا».[أخرجه الشيخان وغيرهما] ، وهو وصف عائشة -رضي الله عنها- وزادت فقالت : «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخّاباً بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح» [أخرجه أحمد ، وغيره] .

وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله، ثم ائتني ، فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع سن قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر... » إلخ . [أخرجه الشيخان]

وقد أجمل ﷺ البعثة كلها في مكارم الأخلاق في قوله ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». اهـ [أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) وأحمد ، وغيرهما وهو في «الصحيحة» (٤٥)].

فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدنيا ومنزلة عليا للمؤمنين في الآخرة.

وقد ظهرت نتيجة عظم هذه الأخلاق في الرحمة العامة الشاملة في قوله -تعالى- : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] مع أن بعثته ﷺ بالتوحيد، والعبادات، والمعاملات، وغير ذلك، مما يجعل الأخلاق هي البعثة.

فعن عبد الله بن عمرو ، أن معاذ بن جبل أراد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني ، قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا» . قال: يا نبي الله زدني. قال : «إذا أسأت فأحسن» ، قال : يا نبي الله زدني. قال : «استقم ، ولتحسن خلقك». [أخرجه ابن حبان ، والحاكم ، وحسنه شيخنا في «الصحيحة» (١٢٢٨)] .

إذن؛ لا بد من معرفة تفاصيل الأخلاق الواردة في كتاب الله العزيز ، هذه الأخلاق الملتصقة بشخص النبي ﷺ قلباً وقالباً ، ذلك ليثبت لطالب العلم الراجي مغفرة ربه ، الداعي إلى الله على بصيرة ، أن ما مِن خلق حسن ممدوح دل الله عليه في كتابه إلا وكان هذا الخلق طبعاً في شخص النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ بدوره آمراً به حاضاً عليه مرغِّباً فيه .

وسورة القلم نزلت في أول مراحل الدعوة، وأشارت إلى الاهتمام بالأخلاق ، وحثت على الاقتداء بالنبي ﷺ المستعلي على الأخلاق الممدوحة كلها ، قال الشنقيطي: وقد عُني ﷺ بالأخلاق حتى كان يوصي بها المبعوثين في كل مكان، كما أوصى معاذ بن جبل -رضي الله عنه- بقوله: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

إن المجاهدة في تحسين أخلاق المرء نفسه ، أمر ليس بالسهل ... إن تقويم اعوجاج النفس وإكسابها ما تتحلى به من مكارم الأخلاق وصالحها يستحق صاحبها كل خير .

فكم نحن اليوم بحاجة إلى مجاهدة النفس وتقويمها في الله -تعالى-، وحملها على صالح الأخلاق ، وما صيام شهر رمضان لله -تعالى- إلا جزأ من هذه المجاهدة ، وما من عبادة نتقرب بها إلى الله -تعالى- إلا وهي جزء من هذه المجاهدة الخيرة ، لذلك ارتبطت العبادة بالأخلاق ، وهو ملخص ما قالته عائشة في وصف خلق النبي ﷺ أن خلقه القرآن، فتحسين الأخلاق عبادة ربانية يرتقي بها الأخيار الأطهار مِن الناس في الدنيا والآخرة ، وعلى المسلم أن يجنِّب نفسه المهالك فيمنعها اتباع الهوى .

وملخص ما تقدم ما قاله إمام التفسير ابن جرير في قول الله -تعالى-: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ :

«وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم ، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به وهو الإسلام وشرائعه».

والحمد لله ربِّ العالمين.

المقتبس مِن فوائد حديث أنس في قصّة المرتد النَّجَس

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

عن أنس -رضي الله عنه- قال: «كان رجلاً نصرانيّاً (وفي رواية: كان رجلاً من بني النجار) فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبيّ ﷺ، فعاد نصرانيّاً؛ فانطلق هارباً حتّى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه؛ فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبْتُ له! قالوا -أي: النصارى-: هذا كان يكتب لمحمدٍ، فأُعجبوا به، فأماته الله، فدفنوه، (وفي رواية لمسلم: فما لبث أن قَصَمَ اللهُ عنقه فيهم)، فأصبح وقد لفظته الأرض، (وفي رواية: قد نبذته على وجهها-، فقالوا -أي: النصارى): هذا فعل محمدٍ وأصحابه لمّا هرب منهم، (وفي رواية: لمّا لم يرضَ دينهم) نبشوا عن صاحبنا فألقوه؛ فحفروا له؛ فأعمقوا، فأصبحوا وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمدٍ وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لمّا هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض»، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه وتركوه منبوذاً.

١- الاستهزاء برسوله وسبه كفر مغلظ وشرك مركب:

هذا الحديث يُبيِّنُ للأمّةِ ولأعدائها معاً: أنّ الطعن بالدين، والاستهزاء بالمرسلين أشدُّ من الارتداد عن دين الله -تبارك وتعالى-، بل هو كفرٌ مغلّظ، وشركٌ مركّب، فكم من الناس قد ارتدوا عن دين الله لكنّ الله لم يفعل بهم ما فعل بهذا المرتد الأفّاك الأشِر عندما ارتدَّ نصرانيّاً وطعن في رسول الله ﷺ، واتّهمه بالجهل، وأنه لا يدري إلا ما كَتَبَ له هذا الأفّاك الأشِر، وطعن في كتاب الله -تبارك وتعالى- بزعمه أنه وضع في كتاب الله ما ليس منه، فكان أن قصم الله عنقه، فلمّا دُفن نبذته الأرض، ثمّ دُفِنَ فنبذته الأرض، ثم دفن فنبذته الأرض جزاءً وفاقاً لمن طعن في دين الله ورسوله وكتابه.

٢- الطعن في رسول الله ﷺ والاستهزاء به، كفر أكبر:

لأنه طعن في المرسِل وهو الله، فمحمد رسول الله، وطعن في الرسالة وهي الإسلام، فمحمد هو حاملها ومبلغها للعالمين.

٣- الذين كفروا بعضهم أولياء بعض:

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويطيعون الشيطان، فهذا المرتد التحق بالروم، فآووه وعظموه؛ لأنه فارق دين الإسلام، وطعن في النبي ﷺ.

وهذا ديدنهم في كل عصر؛ فقد آووا من قبل سلمان رشدي، وروجوا لآياته الشيطانية، وهاهم اليوم ينصرون هذه الرسومات المستهزئة برسول الإسلام ﷺ، ويدافعون عنها وعن صاحبها ... ألا ساء ما يفعلون.

وفي كلِّ قرنٍ يأوي إلى ديارهم، و بلادهم كلُّ من مَرَدَ على النفاق، وطعن في الدين، ولم يثبت في بلاد المسلمين يلجأ إليهم تحت مسمَّياتٍ كثيرة كلاجئ سياسيّ، وفارٍّ من الخوف والأذى، وغير ذلك من المسمَّيات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

٤- بعض اليهود والنصارى يتّخذون من أولئك الطاعنين في دين الله، المستهزئين برسل الله سُلَّماً للطعن في الدين، ورأس حربة للكيد بالإسلام والمسلمين:

فهذا المرتد النجس لّما فرَّ إلى النصارى أُعجبوا به، وقالوا: هذا كان يكتب لمحمدٍ، وهو يدري ما يقول، وليت شعري؛ فإنه لا يدري ما يقول، ولا يدري أنه لا يدري.

٥- بعضُ أهل الكتاب من يهود ومن نصارى ، ينسبون الأفعال المشينة،إلى الإسلام، وإلى محمدٍ، وإلى أصحاب محمدٍ ﷺ:

تدبر قولهم عندما لفظت الأرض هذا النصرانيّ المرتد: «هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه»، ظنُّوا أنّ النبيَّ ﷺ أمر أصحابه أن ينبشوا قبر هذا الكافر ويلقوه خارج الأرض، وكذبوا؛ بل هو أمر الله و آيةٌ من آياته -تبارك وتعالى-، ولكنهم يمرُّون عن آيات الله وهم معرضون عنها ؛ وهكذا هم في كلّ عصر: ينسبون إلى الدين، وإلى المصلحين كلَّ أمرٍ يُحرِّمه الإسلام، ويُحاربه، و يتبرَّأ منه، لقد زعموا أنّ الإسلام دين إرهاب، وأنّ المسلمين إرهابيون، وكذبوا -وربِّ العزّة -، فهم أصل الإرهاب ومنبعه، وهم الذين صدّروا الإرهاب إلى كلّ الدنيا، أليس الطعن في رسول الله، والاستهزاء بنبيّ الإسلام إرهاباً؟! أليس تصوير محمد ﷺ بتلك التصاوير الساخرة الماكرة - ورسول الله ﷺ يمثله في الأرض رُبع سكانها، استخفافاً بهذا العدد الهائل من المسلمين- هو الإرهاب بعينه؟ هم أصل المسألةِ، فقد اجتمع رئيس وزرائهم الدنماركي بالجالية الإسلاميّة في الدنمارك، وقد هاله دخول كثير من الشباب في الإسلام، فطلب من الجالية المسلمة هناك أن يُغيِّروا خطابهم الإسلاميّ، فطالبته الجالية بأن يصدر أوامره لمصادر الإعلام لكي لا تستفزَّ الشباب المسلم، ولكي لا تسخر من دين الإسلام، فما لبث أن قامت رابطة رسّامي الكاريكاتير في الدنمارك برسم اثنتي عشرة صورة لرسول الله

ﷺ، وكذبوا؛ فإنّ هذه الصور لا تمثّل رسول الله ﷺ، فإنهم لا يعرفونه في سيرته، ولا في شخصه، ولا في شمائله، فهم أجهل الناس بسيرة محمد ﷺ، ثم نشرتها صحفهم، وتوالت صُحفٌ في النرويج، وألمانيا، وإسبانيا، وفرنسا، على نشر الصور التي تستهزئ برسول الله ﷺ.

إحدى هذه الصور تُمثِّل نبيَّنا ﷺ رجلاً يريد التفجير والتدمير! وكذبوا؛ فإنّ محمد ﷺ لم يُقِم مصنعاً للسلاح ، ولم يصدّر أسلحة الدمار الشامل، ولم يُلق على اليابان القنابل الذريّة...، إنّ محمداً ﷺ كان يُعلّم أصحابه عندما يُرسلهم إلى الفتح، قائلا: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»، «لا تغدروا، لا تقتلوا شيخاً، لا تقتلوا امرأةً، لا تقتلوا صغيراً» هكذا كان يُعلِّمهم، لأنه كما قال فيه ربُّ العزّة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أمّا أولئك الأوغاد فقد صدّروا إلينا الإرهاب، والقتل، والتدمير، واستعباد الشعوب، ونهب خيراتها وتقطيع ديارها.

٦- في هذا الحديث بشرى للكئيب بنصرة الحبيب ﷺ:

فإذا لم يستطع المسلمون أن يُقيموا الحدّ على هذا المشرك - وحدّ من استهزأ برسول الله أو شتمه، أن يضرب بالسيف من قبل الحاكم المسلم، كما أجمع على ذلك العلماء، فقد نقل ذلك القاضي عياض في كتابه «الشفا»، الإجماع على أنّ الساب لرسول الله ﷺ يقتل وإن تاب، وإن اختلف العلماء في توبته - فإن عجزوا لضعفهم، أولتقصيرهم، أو لتفرُّقهم فإنّ الله يتولّى ذلك -بإذنه -تعالى-، ولذلك فقد قصم الله عنقه وهو في معقلهم، قصم الله عنق هذا المرتد، وهو بين ظهرانيْ أهل الكتاب، ولم يستطيعوا بجيوشهم وعددهم وعدَّتهم أن يمنعوا أمر الله فيه ...، فإذا ضعف المسلمون عن نصرة رسول الله فإنّ الله -تبارك وتعالى- يتولّى نصرته ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:٤٠]، ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحجر:٩٥]، ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر:٣].

٧- إنّ هذا الحديث يُبيّن أنّ لله في هؤلاء المستهزئين برسول الله ﷺ آياتٍ لا يعلمها إلا هو:

فهذا الكاذب على رسول أماته الله، فدُفن فألقته الأرض، ثمّ دُفِنَ فنبذته الأرض، ثمّ دفن له في قبرٍ أعمق من الأول، فنبذته الأرض، ثمّ دفن في قبرٍ ثالث أعمق من ذَيْنِك فنبذته الأرض ولم تقبله، وبقي في العراء مذموماً مدحوراً.

٨- هذا الحديث يُبيّن حالاً من أحوال بعض الكافرين، ومنهجاً للمستهزئين أنهم يُصرُّون على كفرهم، ويُعاندون في شركهم:

فلو رأوا آيات الله تترى ما آمنوا، فهؤلاء قد رأوا هذا المرتدَّ الذي نبذته الأرض، فأسندوا الفعل إلى الإسلام وأهله، فقاموا

باحتياطاتٍ واحترازاتٍ وحراساتٍ، فأعمقوا له في الأرض فنبذته الأرض، ثمّ فعلوا ذلك فنبذته الأرض، فعلموا عندئذٍ أنّ هذا ليس من الناس، إذا: لا بدّ أن يكون من ربّ الناس، ومع ذلك لم يؤمنوا، ولم يعتبروا، ولم يرعووا. ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤]، فهؤلاء يعرفون محمداً، كما يعرفون أبناءهم، فقد ورد ذكره في التوراة، وفي الزبور، وفي صحف إبراهيم، وورد في الإنجيل، كما ورد ذكر أصحابه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩]

ولكنّهم يُحرِّفون آيات الله في كتبهم لكي لا تظهر على الملأ، ولكنّ الله قد أظهرها رغم أنوفهم.

٩- هذا الحديث يُبيِّنُ لنا أمراً مهمّاً، ويُشير بوضوحٍ جليٍّ، وبيان عليٍّ، إلى جنديٍّ مِن جنود الله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٣١]... وهو: الأرض، وأنّ أمرها بيد الله:

هذه الأرض أمرها الله أن تلفظ هذا المشرك فلفظته، وأمرها ثانية فنبذته، وأمرها أن لا تستقبله فتركوه منبوذاً على وجهها للسباع والطير، أمرها بيد الله، يأمرها متى شاء، وكيف شاء، وينصر بها من شاء، فعندما هاجر رسول الله ﷺ، وكان في طريقه إلى المدينة، جعلت قريش لمن يأتي برسول الله حيّاً أو ميتاً مئة من الإبل فسمع به سراقة بن مالك، فركب فرسه، وأعدّ رمحه، ولحق برسول الله ﷺ، يُريد النوق العصافير، و حُمْرَ النَّعَم، والإبل يومئذٍ كانت خير أموال العرب وأنفسها، فلمّا اقترب سراقة من رسول الله ﷺ، ورسول الله أعزل، يُريد أن يُلقي القبض على رسول الله ﷺ، ويعود به إلى أبي جهلٍ ، أمر الله الأرض فغارت فرسُه إلى ركبها، فعلم أنّ الرسول معصومٌ منه، وأنه لا يستطيع ذلك، فعاد ذابّاً عن رسول الله ﷺ، يردّ عيون قريشٍ، و جواسيسها لكي لا يلحقوا برسول الله ﷺ... هذه الأرض هي جنديّ من جنود الله مأمورة، وآية من آيات الله منظورة.

والله الكافي...

تعظيم قَدْرِ
رسولِنا محمد ﷺ ونصرته

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

أعلى الله قدر نبيه محمداً ﷺ في العالمين، ورفع ذِكره في الأولين والآخرين، وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين، كلّما ذُكر الله ذكر معه رسول الله، وحسبه بهذا شرفاً ورفعةً، قال -تعالى-: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح:٤].

فهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى -بإذن ربه-، وهو الرحمة المهداة للإنس، والجن، والحيوان، والطير، والبر، والبحر، من شنأه كائناً من كان بتره الله، وقصمه، وعذّبه، ولعنه، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]، ومن آذاه فقد آذى الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧].

ومن غمزه أو لمزه أو استهزأ به فهو من الكافرين والمنافقين المستحقّين للعذاب والنَّكال في الدنيا قبل الآخرة، قال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فالصليبيون الجُدُدُ أعداء الرسول ﷺ الذين اجترءوا فتطاولوا على جناب نبينا ﷺ بالاستهزاء والسخرية منه لم يكونوا أول المستهزئين من دنماركيين وغيرهم، بل هم امتداد لإخوانهم المجرمين من قبل ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣]، فقد لقي أنبياء الله جميعاً من صنوف الأذى النفسي والجسدي ما الله به عليم، وكان أكثرهم إيذاءً نبينا محمداً ﷺ حتى من قرابته وأبناء عشيرته، وكثير مِن أفراد أمته المنتسبين إليه ظلماً وزوراً من سفهاء الصحفيين والإعلاميين،

فالاستهزاء بالنبيين أمر قديم، ولهذا تتواصى به أمم الكفر والإجرام في كلّ وقتٍ وحين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين:٢٩]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٩-١١١]، وقال عن قوم نوح المستهزئين به -وهو أول رسول أرسله-: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود:٣٨-٣٩].

وإننا لا نعجب حين نرى ونسمع هذه السخرية من الكافرين؛ لأنّ هذا هو المظنون بهم والمتوقع منهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ولكن لا ينقضي عجبنا حينما نسمع ذلك من بعض صحفنا العربيّة والإسلاميّة -زعموا-، وما أكثر سخريتهم من الدين وأهله -تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً-.

وعليه؛ فما موقفنا من المستهزئين كفاراً كانوا أو أدعياء إسلام؟!

أقول وبالله التوفيق:

كل من استهزأ برسول الله ﷺ أو سخر منه فدمه هدر كافراً كان أم مسلماً -لا يقتُلُه إلا السلطان المسلمُ، أو مَن يُنيبُه-، كما قرّر ذلك علماء الإسلام، وصنفوا في ذلك المصنفات، من أشهرها وأوسعها «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-؛ لأنّ شتم الرسول من نواقض الإيمان والعقيدة -عياذاً بالله-.

وإليك أخي القارئ بعضَ نصوص أهل العلم في حكم منتقص الرسول وشاتمه وسابّه:

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: «من شتم النبيّ ﷺ قتل؛ وذلك أنه إذا شتمه ارتد عن الإسلام، ولا يشتم مسلم النبيّ ﷺ».

وقال الإمام الخطابي: «لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله».

وقال أبو يعلى: «من سبّ الله أو سبّ رسوله فإنه يكفر سواء استحلّ سبّه أو لم يستحل».

وحكى ابن المنذر الإجماع على قتل سابّ الرسول ﷺ فقال: «أجمع عوام أهل العلم -يعني

عامّة أهل العلم- على أن حدّ من سبّ النبيّ ﷺ القتل، وممن قاله: مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي».

وقال حنبل: «سمعت أبا عبدالله -يعني الإمام أحمد- يقول: كلّ من شتم النبيّ ﷺ، أو انتقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب».

ولله سنّة ماضية في كل من آذى رسول الله بالقول، أو الفعل، أو الغمز، أو اللمز أن يقتصّ الله منه عاجلاً قبل آجل، ولا يدعه يمشي على الأرض كما وقع لرجل بني النجار . . .

وكذلك ما فعل الله بعبدالله بن أُبَي بن سلول رأس المنافقين، الذي قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨] يعني أنه الأعز والرسول هو الأذل -حاشاه من ذلك-، فما لبث أن اشتكى بطنه فمات.

وثالثة قصّة عساف النصراني شاتم الرسول، سبب تأليف ابن تيمية كتابه، حيث ما لبث أن قتله ابن أخيه[1].

ورابعة ذاك المنصر الذي شتم الرسول بحضرة أمير المغول الذي أرادوا تنصيره، فهجم عليه كلب كان حاضراً فقطع رباطه، ونهشه من عنقه حتى قتله، كانت سبباً في إسلام آلاف النصارى، وقد ذكر القصة الحافظ ابن حَجَر في «الدرر الكامنة»، وغير ذلك كثير.

وإننا لنرجو الله أن يُرينا في المستهزئين من دنماركيين وغيرهم عجائب قدرته؛ ليكونوا عبرة لكلّ معتبر، وأن يكون للمسلمين -حكاماً، وعلماء، وتجاراً، ورجال أعمال- موقفٌ مُشَرِّفٌ ينصرون فيه رسول الله ﷺ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، فإن تخاذلنا عن نصرة رسول الله -عياذاً بالله- فإنّ الله ناصره حياً وميتاً ﷺ، كما وعد ووعده الحق ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

(١) انظر (ص١٨).

الصارم المسلول

على شاتم الرسول ﷺ

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

عنوان مقالي هذا هو اسمٌ لِكتاب علميّ رصين ألّفه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- سنة (٦٩٣هـ)؛ لمّا كان عمره اثنين وثلاثين عاماً، وقد توفي -رحمه الله- سنة (٧٢٨هـ): عن سبعة وستين عاماً.

والذي ذكَّرني بهذا الكتاب -ولست بناسيه- هذه الواقعةُ المدلهمّةُ التي وقعت في الأُمّة بسبب صنيع بعض سُفهاء الغربيِّين الجهلة، الذين لم يُفَرِّقوا -وقد لا يستطيعون أن يُفَرِّقوا!- بين (حرية الاعتقاد)، و(مسؤولية الانتقاد)؛ فوقعوا في هذا المنكر العظيم، والبلاء المبين؛ ممّا أوقد في الأمة الإسلامية -من أدناها إلى أقصاها- جذوةَ العقيدة الخالصة، والحبّ الصادق لرسول الله ﷺ؛ والذي ننتظر -بعده-بإذن الله- التطبيق الفعليّ العمليّ الجادّ لقول الله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ﴾ الآية [آل عمران: ٣١] وما ذلك على الله بعزيز.

ولهذا الكتاب العُجاب قصّة؛ ذكرها الإمام الحافظ المؤرخ أبو الفداء ابن كثير -المتوفى سنة (٧٧٤هـ)- في تاريخه المشهور «البداية والنهاية» (١٧/ ٦٦٥-٦٦٦) ننقل نصّه فيها؛ حيث قال -رحمه الله-:

«**واقعةُ عسَّاف النَّصرانيّ**: كان هذا الرجل من أهل السُّوَيْداء قد شهد عليه جماعة أنّه سبّ النبي ﷺ، وقد استَجار عَسَّاف هذا بابن أحمد بن حجّي أمير آل عليّ، فاجتمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ زين الدين الفارِقيّ شيخ دار الحديث، فدَخَلا على الأمير عزّالدين أيْبَك الحَمَويّ نائب السلطنة، فكلَّماه في أمره، فأجابهما إلى ذلك، وأَرسل ليُحْضِرَه، فخَرَجَا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس، فرأى الناس عَسَّافاً

حين قدم ومعه رجل من العرب، فسبّوه وشتَموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم -يعني النّصرانيّ-، فرجَمَهما الناس بالحجارة، وأصابت عَسَّافاً، ووقعت خَبْطَة قوية، فأرسل النائب، فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقيّ، فضربَهُما بين يديه، ورسم عليهما في العَذْراوية، وقدم النصراني، فأسلم، وعُقِدَ مجلس بسببه، وأثبت بينَه وبين الشهود عداوة، فحقَن دمه، ثم استدعى بالشيخين، فأرْضاهما وأطلَقَهما، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتَّفَق قتلُه قريباً من مدينة رسول الله ﷺ، قتَله ابن أخيه هنالك، وصنّف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في هذه الواقعة كتابه «الصارم المسلول على سابّ الرسول» ».

أقول: في هذه القصة فوائد مهمة مِن تاريخ الأمة:

أولاً: تعاون أهل العلم الشرعي -بعضهم مع بعض- أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر.

ثانياً: تواصل العلماء والحُكّام؛ لتتم لعموم المسلمين حقيقةُ ولاية الأمة الشرعية بشِقَّيْهَا.

ثالثاً: تفاعل عامّة الناس مع أصول دينهم، وحميّتهم في نُصرة نبيّهم ﷺ.

رابعاً: الاعتبار بالتثبّت الشرعيّ، دون الركون إلى مجرّد العواطف الجارفة، ومَحْض الحماسات الفارغة.

خامساً: ابتلاء العُلماء بالدهماء، وصبرهم على ما قد يصيبهم من بأساء ولأواء.

سادساً: رجوع وليّ الأمر عمّا يظهر له أنّه أخطأ فيه، وعدم استكباره عن الحق، وإصلاحه ما قد يكون أفسده -بسبب ذلك-.

سابعاً: انتقام الله -تعالى- لنبيِّه ﷺ: في تهيئته أقربَ الناس لذاك السابّ المخذول ليُنفِّذ حكم الله فيه.

... وقد يكون في هذه القصة فوائدُ أُخَرُ عند التأمّل؛ لكن ما هُنا يكفي ويفي -إنْ شاء الله-.

ومن باب البشائر -في هذا الحال الصعب الدائر-؛ أنقل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-في كتابه هذا- نصًّا عزيزاً غالياً؛ قال -رحمه الله-:

«حدَّثَنا أعدادٌ من المسلمين العدول -أهل الفقه والخبرة- عمّا جرّبوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية -لمّا حَصَرَ المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا-، قالوا: كنا نحن نحصُرُ الحصنَ أو المدينة -الشهر أو أكثر من الشهر- وهو ممتنعٌ علينا، حتى نكادَ نيأسُ، فإذا تعرَّض أهلُه لسبّ رسول الله ﷺ، والوقيعة في عِرضِهِ: فعُجِّلْنا فتحَه، وتيسَّر، ولم يكد يتأخّر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم

يُفتح المكان عَنوةً، ويكون فيهم ملحمةٌ عظيمة، قالوا: **حتى إن كنا لنتباشرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً بما قالوه فيه.**

وهكذا حدّثني بعضُ أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سُنّة الله أن يعذب أعداءه: تارة بعذاب من عنده، وتارةً بأيدي عباده المؤمنين»[«الصارم المسلول» (٢/ ٢٣٣-٢٣٤].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر-: « إنّ رَحمة الله اقتضت -على مَرّ الدهور- أنّه يُسَبّ القرآن، ويُسَبّ الصحابة!! فإذا سُبّ الرسول ﷺ: جاء النصر والانتقام؛ لأن الله يغار على رسوله أشدّ غيرةً مما سواه، ومَن طعن فيه فقد طعن في الله؛ لأنه هو الذي اصطفاه».

وها هُنا كلمة حَقٍّ لا بُدّ منها؛ وهي: أن مظاهر الإنكار الإسلاميِّ على ذاك العمل الفظيع، والفعل الشنيع: يجب أن تكون مُنْضَبِطَة بالشرع، قائمة على الإيمان والأمان؛ بحيث لا يفتح المسلمون الغاضبون -وحُق لهم ذلك- على أنفسهم ثغرةً أو ثغرات ينفُذُ منها أعداؤهم إليهم، ويعكسونها عليهم.

وليس يخفى أنَّ الهدوءَ في القول، والانضباط في الفعل: لهما دورُهما الأكيد في إصلاح الأمور، وردّ الاعتبار للحق.

ومن بابةِ ذلك ما قاله الإمام التابعي الجليل محمد ابن شهاب -الزُّهري- المتوفى سنة (١٢٤هـ) -رحمه الله- مُعَلِّقاً على فترة الهُدْنة في (صلح الحديبية) -الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين الأوائل-؛ قال:

« إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، وَوُضِعَت الحرب، وأمِن الناس بعضهم بعضاً، والتَقَوْا، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكَلَّم أحدٌ بالإسلام يعقِل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تَيْنِكَ السَّنَتَيْن مثلُ مَنْ كان في الإسلام قبل ذلك، أو أكثر».

بل هي -والله- فرصةٌ سانحةٌ مُضاعَفةٌ؛ أن يُشْرَح لهؤلاء الغربيِّين حقيقة الإسلام، وصفاء الإسلام، ورسالة الإسلام، وعقيدة الإسلام؛ فلقد نقلت بعضُ صحفنا المحليّة -قبل بضعة أيام- لقاءاً مع المطران (بينجت فادينفشو) -رئيس مركز الدراسات المعاصرة في (ستوكهولم -السويد) قال فيه -معلّقاً على مجمل الأحداث-: «إنّ السبب الرئيس في الأزمة هو: الهُوّة المعرفية، وضحالة الوعي لدى الأوروبيِّين بحقيقة الإسلام المعتدل والمتسامح».

وقال: «يرجع سببُ الإساءة للرسول الكريم إلى سببين:

أولهما: أنَّ علمَ الناس في شمال أوروبا بالإسلام قليلٌ جدًّا، وحتى وقت قريب كانت الديانات غير المسيحية ممنوعة في شمال أوروبا، بل إن قانون (حرية الدين) لم يصدر في السويد إلا في العام ١٩٥١، حتى القوانين المماثلة -في دول إسكندنافية أخرى- لم تصدر إلا في الفترة ذاتها-تقريباً-، بل احتكاكهم بالمسلمين قليل جدًّا قبل الخمسين سنة الأخيرة.

أما السبب الثاني: فربما يعود إلى أن عامة الناس في بلادنا [الغربيَّة] لا يأخذون الدين والمقدَّس، ولا يحملونه على محمل الجد كما هو الحال في البلدان الإسلامية».

... فهي إذن -كما قدَّمنا- فرصةٌ سانحةٌ للمُسلمين -عموماً-، ولعلمائهم -خصوصاً- ليُبيِّنوا للغربيِّين ما غاب عنهم مِن حقيقة هذا الدين، وصفائه، ونقائه، وبقائه.

هجوتَ محمَّداً فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاءُ
فإنَّ أبي ووالدَه وعِرْضي
لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

هذا ما ذَبَّ به الصحابيّ الجليل حسّان بن ثابت -شاعر الرسول- عنه ﷺ مخاطباً أبا سفيان ابن الحارث -قبل إسلامه- رضي الله عنه-...

وقد نظمتُ على نَسَقِهِ -تتمَّة- في هذا الحادث-:

وهذا واجبٌ من بعض حقٍّ
وفي أعناقِنا كُلٌّ وفاءُ
فهَذي غضْبةٌ لله تعلُو
ليُدفَعَ عن عقيدتِنا العِداءُ
فلَسْنَا مِن سياسَتِهم بقُرْبٍ
ولكنْ مَنْعُنا منهمْ بَرَاءُ
بحُكمِ الشرعِ لا حكمٍ برأْيٍ
فحُكْمٌ حازمٌ فيه المَضاءُ
رسولُ الله خيرُ الخَلْقِ طُرًّا
دفاعُ الحقّ عنه لَنَا شِفاءُ
فَداهُ الصادقون بكُلِّ قولٍ
وكلِّ فِعالهم، فهُمُ فِداءُ
فلا الدُّنيا بباقيةٍ وراءً
ولا أرضٌ تظلُّ ولا سماءُ
ولا يبقى لكلّ الناس إلا
عقيدتُهُم ونهجُهمُ الصَّفاءُ
فحافِظْ يا أُخَيَّ على اعتقادٍ
به يَسْمُو الرسولُ وأنبياءُ

بيننا .... وبينهم!

• بقلم: فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي

لقد نشرت وسائل الإعلام -مِن صحف وغيرها- تلك الأنباء المؤلمة الدامية التي تصدر من أعداء الإسلام الحاقدين الموتورين على الإسلام ونبي الإسلام.

تلك التصرفات التي تحمل في طياتها الطعن في رسول الله محمد ﷺ، والتشويه لرسالته مِن قِبَل أفراد ومنظمات نصرانية حاقدة، ومِن قِبَل بعض الكتاب الحاقدين المستهترين؛ مثل كتاب الصحيفة الدانمركية (جيلاندز بوستن) التي سخر كتابها من أفضل البشر وأكمل الرسل محمد -عليه الصلاة والسلام- الذي ما عرفت الأرض أنبل ولا أكرم منه أخلاقاً وعدلاً ورحمة، ولا عرفت رسالة أكمل وأشمل وأعدل وأرحم من رسالته، تضمنت هذه الرسالة الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، واحترامهم، وحمايتهم من الطعن، والتنقص، وحفظت حقيقة تاريخهم، ومنهم عيسى وموسى، فمن كفر بمحمد وانتقصه فقد كفر بهم وانتقصهم جميعاً -عليهم الصّلاة والسّلام-.

ولقد سخر منه الأوغاد المتوحشون، حيث صوّروه في صور شتى بَلَغَت اثنتي عشرةَ صورةً.

ونقول لهؤلاء المجرمين ولمن وراءهم مِن الحاقدين في أوروبا وأمريكا: (رمتني بدائها وانسلت)!

فمحمد ﷺ، وخلفاؤه الراشدون، وصحابته الأكرمون، لم ينشؤوا مصانع حتى للأسلحة البدائية مِن السيوف والرماح فضلاً عن القنابل الذرية، والصواريخ العابرة للقارات، وسائر أسلحة الدمار الشامل!

لم يُنشئ محمد ﷺ مصنعاً واحداً، لأنه بعث رحمة للعالمين، ولهداية البشر أجمعين، إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم، وليقوموا بحق خالقهم الذي خلقهم لعبادته، فمن أبى ذلك فهو مجرم يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة مِن ربِّ العالمين، سيد هذا الكون وخالقه.

أما الغربيون المُدّعون للحضارة فنقول لهم: إن لديكم الدساتير والقوانين التي تدمر الأخلاق، وتبيح ألوان المحرمات، ومنها الزنا والشذوذ الجنسي، ومنها الربا الذي يدمر اقتصاد الأمم، ومنها إباحة أكل الميتة، ولحوم الخنازير التي تورث الدياثة! فلا يغار الرجل على زوجته، وأخته، وبنته، فلها أن تزني وتخادن من شاءت، وهذه من وسائل الدمار التي حرمتها كل الرسالات.

أما القنابل وسائر أسلحة الدمار ووسائلها مِن طائرات حربية، ودبابات، وصواريخ عابرات القارات، فأنتم مهندسوها وصُنّاعها بعقولكم الشيطانية، التي لا تفكر إلا في البغي والعدوان، والظلم والبطش والطغيان، والاستعلاء على أصناف البشر، واستعبادهم وسفك دمائهم، وابتزاز ثرواتهم، ولا تفكر إلا في إبادة من ناوأكم، ووقف في وجه مطامعكم وبغيكم وعدوانكم، وكل ذلك مغلّف باسم الحضارة! وحقوق الإنسان!! والحرية والعدالة!!!

وكل عقلاء البشر يعرفون هذا عنكم، وتاريخكم الأسود زاخر بأعمالكم الوحشية والإرهابية، ذلكم التاريخ الذي سجله عليكم العدو والصديق.

ومَن لا يعرف ذلك فليقرأ تاريخ استعماركم للأمم وليدرس على الأقل تاريخ حربيكم العالميتين وبعض نتائجها، والتي منها: أنه قد بلغ عدد القتلى في الحرب العالمية الأولى في أوروبا «أكثر من عشرة ملايين! كانوا زهرة شباب دولهم، وأكثر من ضعفَيْهم كان قد سقط جريحاً، وكتب عليه أن يعيش مقعداً، أو عاجزاً، حتى آخر حياته». [انظر «التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية» (ص٥٠٥)]

وبلغ عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية «١٧ مليوناً مِن الجنود، و١٨ مليوناً من المدنيين قد قتلوا خلال خمسة أعوام ونصف، الخبراء يقولون: إن النفقات العسكرية وحدها قد بلغت ١١٠٠ مليار دولار، أما الخسائر التي سببتها الحرب فقد بلغت ٢١٠٠مليار دولار، يضاف إلى ذلك المدن المخربة، والأراضي المحروقة، والحقول المغمورة بالمياه، والمصانع والمناجم التي توقف العمل فيها، ثم قطعان الماشية التي تمزقت وتبددت» اهـ. [«الحرب العالمية الثانية» لـرمضان لاند/ ص٤٤٨-٤٤٩)].

قنبلة هيروشيما :

قال مؤلف كتاب« الحرب العالمية الثانية» (ص/ ٤٤٦-٤٤٧) : «وقد يكون مِن المناسب أن نتحدث قليلاً عن هذه القنبلة الذرية الأولى، فنردد ما ورد على لسان أحد اليابنيين في حديثه مع (مارسيل جونو) - ممثل الصليب الأحمر-، عن ماهية هذا الانفجار الرهيب! قال : وفجأة ظهر في السماء ضياء وردي باهت اللون شديد جداً ، يرافقه اهتزاز غير طبيعي، ثم لحقت به مباشرة موجة من الحرارة الخانقة، ورياح عاصفة كانت تجتاح كل ما تجده أمامها.

وفي ثوان قليلة أحترق الآلاف من الناس؛ الذين كانوا يسيرون في الشوارع، أو يجلسون في الشوارع العامة -القائمة في وسط المدينة-، كثيرون قتلوا بالحرارة الهائلة التي انتشرت في كل مكان! وآخرون كانوا يبقون فوق الأرض صارخين من الألم، وقد انتشرت في أجسادهم حروق مميتة، كل ما كان قائماً فوق منطقة الانفجار: جدران، منازل، مصانع، وأبنية أخرى، قد أبيد إبادة تامة، واندفع فتات هذه الأشياء نحو الفضاء في دوامة رهيبة، الحافلات الكهربائية انتزعت من خطوطها الحديدية، وانقذفت كما أنها لو أنها فقدت وزنها وتماسكها، القطارات هي ارتفعت بدورها، وكأنها مجموعة من لعب الأطفال، الخيول والكلاب والماشية أصابها ما أصاب البشر، كل ما كان مِن الأحياء قد فقد حياته في وضع مؤلم يعز على الوصف، واختفت الأشجار في اللهيب، وفقدت شتلات الأرز خضرتها، واحترق العشب الأخضر كما يحترق القش اليابس .

أما ما وراء منطقة الموت فقد انهارت المنازل، وأصبحت أكواماً من الألواح الخشبية والقرميد والأعمدة الحجرية، لقد انهار كل شيء، كما تنهار بيوت الكرتون، في دائرة قطرها عشرة كيلو متر، أما الذين كُتبت لهم النجاة من الموت فقد وجدوا أنفسهم محاطين بستار من اللهب، أما الأفراد القليلون الذين استطاعوا اللجوء إلى مخبأ من المخابيء فقد ماتوا بعد عشرين أو ثلاثين يوماً من الألم بتأثير إشعاعات (غاما) المميتة، وفي المساء بدأت النيران تنخفض ثم ماتت، إذ لم

يعد هناك شيء تأكله هذه النيران، لقد انتقلت هيروشيما إلى العدم» اهـ.

هذه بعض معالم حضارتكم التي تتغنَّون وتتباهون بها! وتتطاولون بها على الإسلام!! وعلى نبي الإسلام! وما تزالون في الازدياد مِن كل ألوان الظلم والإفساد، وما تزالون في ازدياد من اختراع وسائل الدمار، والإهلاك، والبوار، وتلك والله هي نهاية الوحشية والحيوانية قال -تعالى-: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٤].

فاجعلوا قنابلكم ومنها قنبلة (هيروشيما) وأخواتها تيجاناً لكم ولزعمائكم، واجعلوا سائر أسلحة الدمار الشامل أنياباً ومخالب لكم تفترسون بها الوحوش والبشر.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧]

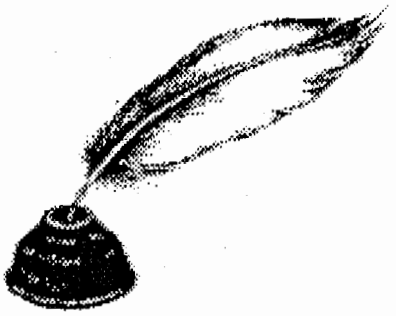

قال الإمام

محمد بن صالح العثيمين

-رحمه الله-:

« ... لا شك أنَّ طبائع اليهود، وغلظهم، وخداعهم، وخيانتهم، ومكرهم أشد وأعظم مِن النصارى، ومع ذلك بعد الحروب التي وقعت بين النصارى والمسلمين صار النصارى يُكِنُّون للمسلمين مثل ما يكن اليهود لهم!!

فنسأل الله -تعالى- أن يدفع الجميع عنا».

[«الشرح الممتع» (٣/٤٩٧)]

الانتصار لرسول الله محمد ﷺ أزكى البشرية

• بقلم: الشيخ خالد بن عبدالرحمن الشايع

ماذا تنقم حكومة الدنمرك وصحافتها على محمد خاتم رسل الله ﷺ ؟!
دفاعٌ عن رسول الله محمد ﷺ من استهزاء صحيفة دنمركية.
ما موقف المسلمين -حكومات ورجال أعمال وشعوباً- نحو هذه الإساءة؟

هذا بيانٌ مِدَادُهُ دَمُ قلبي، ورقعته مُهْجَةُ نفسي، أحرره دفاعاً عن أحبِّ حبيب، وأرقُمه ذوداً عن أزكى مخلوق وأطهر بشر: محمد بن عبدالله، رسول رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين.

فيا ربِّ تقبَّل مني إنك أنت السميع العليم.

لقد اطلعت على ما تناقلته بعض وكالات الأنباء من اقتراف الصحيفة الدنمركية (جيلاندز بوستن / Jyllands-Posten,) لخطأ شنيع وانحرافٍ فظيع بنشرها (١٢) رسماً (كاريكاتيرياً) ساخراً يوم الجمعة (٢٦ شعبان ١٤٢٦هـ - ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م) تصور الرسول ﷺ في أشكال مختلفة مُزْرِية ...

وإمعاناً في غَيِّها طلبت الجريدة من عموم الرسَّامين التقدم بمثل تلك الرسوم لنشرها على صفحاتها.

ولما بلغني الخبر كدَّرني كثيراً وأصابني بهمٍّ كبير، وأحزنني حزناً عظيماً، وقد عمدتُ بنفسي للنظر في موقع الصحيفة المذكورة على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، حتى وقفت على موقع الجريدة (Jyllands-Posten) في صفحاتها الصادرة بتاريخ (٣٠. September٢٠٠٥) فكان الخبر ليس كالمعاينة، حيث هالني ما رأيته، واقشعرَّ جسمي، وبلغ بي ذلك كل مبلغ في النكير والاستهجان والامتعاض.

وهكذا كان الشأن عند عامة أهل الإسلام ممن بلغهم الخبر، حيث كان هذا العمل محل انتقاد واستهجان لديهم، ولدى غيرهم من العقلاء في أرجاء الأرض.

وقد عمد إخواننا المسلمون في الدنمرك، ومعهم بعضُ المواطنين الدنمركيين، وكذلك غيرهم من المقيمين في

الدنمرك إلى إنكار هذه السخرية التي نالت أشرف إنسان في التاريخ.

فكُتبت المقالات ووُجهت الرسائل إلى الحكومة الدنمركية وإلى الصحيفة المعنية، مطالبين بالاعتذار عن هذا العمل والكَفِّ عن مثله مستقبلاً.

وقد تظاهر في شهر أكتوبر الماضي أكثر من (٥٠٠٠) مسلم وغيرهم من المتعاطفين معهم في العاصمة (كوبنهاجن) ضد الصحيفة وطالبوها بالاعتذار.

غير أن السلطات الدنمركية ومسئولي الصحيفة رفضوا ذلك بمبررات حرية الإعلام والتعبير! وأنه لا شيء يستثنى من شموليته وحريته!!

ولا زال مسئولو صحيفة (جيلاندز بوستن/ Jyllands-Posten) -والحزب الحاكم الذي تنتمي إليه- يرفضون الاعتذار، وينوون الاستمرار في منهجهم المتهجم على الرسول الكريم الذي قال الله له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

متجاهلين بذلك المواثيق والأعراف الدولية، غير مبالين بالاعتراضات المقدمة إليهم.

فرأيت أن من الواجب عليَّ، وعلى غيري ممن حمَّلهم الله أمانة البيان والبلاغ البيان في ذلك، خاصةً وأنني أشرُف بالانتساب للبلادِ المباركةِ، التي فيها قبلة المسلمين، وبها مسجد رسول الله محمد ﷺ الشريف، وذلك عملاً بقوله -سبحانه-: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وإذا تأملنا في خلفيات هذه التهجمات فلنا أن نقف الوقفات التالية:

أولاً: محمد ﷺ أزكى البشرية:

أذكِّر الشعب الدنمركي وغيره من الشعوب النصرانية وغيرهم من أمم الأرض أن هذه السخريات ما هي إلا محض افتراء وكذب.

فمحمدٌ رسول الله ﷺ هو أطهر البشرية جمعاء وأزكاها، ولن تضيره هذه السخرية مهما عظمت أو تكاثرت، كما أخبرَنا بذلك ربُّنا في القرآن العظيم.

ونحن نعتقد أن الله -سبحانه- سيحمي سُمعة رسوله محمد ﷺ، ويصرف عنه أذى الناس وشتمهم بكل طريق، حتى في اللفظ.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا ترونَ كيف يَصْرِفُ الله عنِّي شَتْمَ قريش ولعنَهم، يشتمون مُذَمَّماً، ويلعنون مُذَمَّماً، وأنا مُحَمَّدٌ!».

فنزَّه الله اسمَه ونَعْتَه عن الأذى، وصرف ذلك إلى من هو مُذَمَّم، وإن كان المؤذِي إنما قصد عينه.

قال الإمام العالم الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

قوله: «يشتمون مُذَمَّماً»: كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدالِّ على المدح، فيعدِلُون إلى ضده، فيقولون: مُذَمَّم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فَعَلَ الله بِمُذَمَّم.

ومُذَمَّم ليس هو اسمه -عليه الصلاة والسلام-، ولا يُعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره.

أقول: وهكذا تلك الرسوم التي دعت الجريدة الرسامين لرسمها ونشرتها على صفحاتها! إنها قطعاً لا تمثل رسول الله محمداً ﷺ، لا في رسمها، ولا في رمزها:

لا في رسمها: أي: ملامح الوجه، فوجه محمد هو الضياء والطهر والقداسة والبهاء، وجهه أعظم استنارةً وضياءً من القمر المسفِر ليلة البدر، وجه محمد يفيض سماحةً وبِشْراً وسروراً، وجه محمد له طلعةٌ آسِرَةٌ، تأخذ بلب كل من رآه إجلالاً وإعجاباً وتقديراً.

ولا في رمزها: فمحمد ﷺ ما كان عابساً، ولا مكشراً، وما ضرب أحداً في حياته، لا امرأة ولا غيرها.

تقول عائشة زوج رسول الله ﷺ، ورضي الله عنها: «ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تُنْتَهَكَ حُرمة الله فينتقم لله بها» [رواه البخاري ومسلم].

وإنه لمن الحسرة والبؤس على الصحيفة الدنمركية وعلى حكومة الدنمرك أن يكون مجرد علمهم عن محمد رسول الله ﷺ هو ما استهزؤوا به، مما أوحت به إليهم الأنفس الشريرة، وصدق الله: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠].

وأدعو هؤلاء المستهزئين برسول الله محمد ﷺ، وأدعو غير المسلمين لأن يُشَرِّفوا أنفسهم بالاطلاع على سيرته ﷺ، ليطلعوا على كمال الإنسانية في شخصه ﷺ.

وهناك آلاف المراجع والمواقع الإلكترونية في هذا المجال.

وقد شهد لمحمد ﷺ عقلاءُ البشر ومثقفوهم، حتى من أهل الملل الأخرى، شهدوا له بالنُّبل والطهر والفضائل الجمَّة...

ثانياً: السخرية بالأنبياء لن تزيد العالم إلا شقاءً:

لا يخفى أن العالم اليوم يشهد اضطرابات عديدة، أُريقت فيها الدماء وأُزهقت الأرواح، بغياً وعدواناً، بما يجعلنا أحوج ما نكون لنشر أسباب السلم والعدل، وبخاصّةٍ احترام الشرائع السماوية واحترام الأنبياء والمرسلين.

فهذا المسلك يتحقق به حفظ ضرورات البشر في أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وغير ذلك من حقوقهم ومقومات عيشهم الكريم.

وإن مثل هذه الأطروحات العدائية والاستفزازية لن تزيد العالم إلا شقاءً وبؤساً، ذلك أننا جميعاً بحاجة لمصادر الرحمة والهدى، والتي يسَّرها رب العالمين على يدي رسوله محمد ﷺ، فكان المستهزئون به ﷺ، المشوهون لحقيقة حياته ورسالته ﷺ ممن يَصُدُّ الناس عن الخير ويمنع من استقرار العالم وطمأنينته.

وهذا الصنف مِن الناس توعَّده الله في كتابه ونَدَّدَ بسوء فعالهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣].

وإنه لمن المؤسف لحال البشرية اليوم، مع ما وصلت إليه من التقدم في مجالات عديدة من علوم الدنيا، بما تتضمنه من الاكتشافات المبهرة، ثم يأتي في هذا الخِضمّ من العواصم التي تدَّعي التحضر أصواتٌ مبحوحة! وكتابات ساقطة!! تتردى معها تلك المجتمعات؛ بسبب إسقاطات أخلاقية نحو المقدسات.

ثالثاً: دعوى حرية التعبير لا تجيز الإساءة لأحد:

إن ادعاء صحيفة (Jyllands-Posten) حرية التعبير في نشرها لتلك الرسوم الساخرة من محمد رسول الله ﷺ، ادعاءٌ غير مسلَّم ولا مقنع، لأن جميع دساتير العالم ومنظماته تؤكد على احترام الرسل، وعلى احترام الشرائع السماوية، واحترام الآخرين وعدم الطعن فيهم بلا بينة.

وقد جاء في ميثاق شرف المجلس العالمي للفيدرالية الدولية للصحفيين ما نصه:

«على الصحفي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام، وسيبذل كل ما بوسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس عنصري، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو المعتقدات السياسية، وغيرها من المعتقدات أو الجنسية، أو الأصل الاجتماعي.

* سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي ذكره على أنه تجاوز مهني خطير: الانتحال، التفسير بنية السوء، الافتراء، الطعن، القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء مِن أجل النشر أو لإخفاء المعلومات.

* على الصحافيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها، ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة».

ولذلك حين نطالب الصحيفة والحكومة الدنماركية بالاعتذار وبمنع تلك الإساءات لاحقاً فإننا نعتمد -أيضاً- على ميثاق صحفي شريف، جاء فيه: «سيقوم الصحافي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نشرت ووجد بأنها غير دقيقة على نحو مسيء».

ولا شك أن ما نشرته صحيفة (Jyllands-Posten) الدنماركية مسيءٌ لأكثر من مائتي ألف من مواطني الدنمارك، ومسيءٌ لأكثر من مليار وثلاثمائة مليون شخص مُسلم! ومعهم غيرهم من المنصفين من أصحاب الملل الأخرى، كلهم يعظِّمون رسول الله محمد ﷺ.

وسيبقى ذلك العمل مُسيئاً لكل المسلمين ما بقيت هذه الحياة على وجه الأرض، وستبقى الدنمارك -إذا لم تعالج هذه الإساءة- مصدر قرف واشمئزاز، بسبب بعض العقليات التي تقطن فيها، وتعادي الرُّسُلَ والشرائع السماوية وتسخر بها.

رابعاً: هذا الاستهزاء لا يخدم مصالح الدنمارك ولا مصالح أوروبا:

إنَّ العقلاء في البلاد الغربية النصرانية ينبغي أن يدركوا كم في تلك الكلمات والاستفزاز من الأخطار الكبيرة على رعاياهم ومصالحهم في أقطار الأرض، بل

وفي بلدانهم، وأنها قد تؤدي لمزيد التوتر، بما يتعين معه الكف عن هذا الغيِّ والبهتان.

فقد تأخذ الحميةُ بعضَ المتحمسين للثأر ممن وقع في رسول رب العالمين، ومئات الملايين يفرحون أن يموتوا دفاعاً عن نبيهم وعن مكانته الشريفة أن تمتهن.

ولكن مِن ضمن هؤلاء من لا يَقْدِر أن يصفِّي حسابه مع من استهزأ وقال الإفك والبهتان لبُعده عنه ؛ فيعمد إلى من يراهم يدينون بالنصرانية حوله فينتقم منهم ومن ممتلكاتهم لقربه منهم.

مع أن هذا العمل لا يجوز، وقد حرَّمه ومنع منه رسول الله محمد ﷺ فقال : «مَنْ قَتَلَ معاهداً لم يَرِحْ رائحةَ الجنة» . [رواه البخاري]، والمراد بالمعاهد: من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية أو هُدنة من سلطان، أو أمانٍ من مسلم، ويدخل في ذلك ما له صلةٌ بالأعراف الديبلوماسية التي التزمت بها الدول وتعارفت عليها.

وأعمال التحريض والاستفزاز تلك ستؤدي إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح ومزيد الاضطراب والتوتر.

ونذكِّر في هذا المقام بالقرار الذي تبنته لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، (بتاريخ ٣/ ٣/ ١٤٢٦ هـ - الموافق ١٢/ ٤/ ٢٠٠٥ م) الداعي إلى محاربة تشويه الأديان، لاسيما الإسلام، الذي زادت وتيرة تشويهه في الأعوام الأخيرة وللأسف الشديد .

خامساً : أين الحكماء من النصارى؟!

أذكِّر الشعب الدنمركي، وغيره من الشعوب النصرانية، وغيرهم من أُمم الأرض، أذكِّرهم جميعاً بالمواقف السابقة لأسلافهم من النصارى، وكيف كان تعاملهم مع رسول الله محمد ﷺ .

فقد كان موقفهم حضارياً حكيماً متعقلاً، بعيداً عن التشنجات النفسية، أو الانحرافات الأخلاقية، فكانت عاقبة أمرهم إلى خير، في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة.

فقد أرسل رسولُ الله محمدٌ ﷺ رسائل إلى كِسرى ملك الفرس وإلى قيصر ملك الروم، وكلاهما لم يُسْلِم، لكنَّ قَيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ، وأكرم رسوله، فثَبَتَ ملكُه، واستمر في الأجيال اللاحقة، وأما كِسرى فمزَّق كتاب رسول الله ﷺ، واستهزأ برسول الله، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق مُلكَه كلَّ مُمزَّق، ولم يبق للأكاسرة ملكٌ.

وقد ذكر المؤرخون كيف كانت ملوك النصارى يعظِّمون ذلك الكتاب الذي بعث به النبيُّ ﷺ.

وفي هذا يقول الإمام العالم الحافظ ابن حجر:

«ذكر السهيليُّ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيماً له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلَّب على طُليطلة، ثم كان عند سِبطه، فحدثني بعضُ أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله فامتنع.

ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر

حروفه، وقد التصقت عليه خِرقَة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا» انتهى.

ثم أَمَا للشعب الدنمركي النصراني وغيرهم من النصارى أسوةٌ بالملك النصراني النجاشي ملك الحبشة، فإنه لما قرأ عليه الصحابي جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- صدراً من سورة مريم بكى النجاشي حتى أَخْضَلَّتْ لحيتُهُ، وبكت أساقفته حتى بُلَّت مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: «إن هذا -والله- والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاةَ واحدة». [رواه الإمام أحمد في «المسند»].

ولقد نقل رسول الله محمد ﷺ ما أوحاه الله إليه في القرآن الكريم من ثناء الله -جل وعلا- على أولئك النصارى الذي صدقوا في دينهم وفي أمانتهم، وهو قول الله في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٨٣].

ونذكِّر الشعب الدنمركي وقادة الرأي والمثقفين فيه والقائمين على صحيفة (جيلاندز بوستن) نذكرهم بما قاله أحد علمائنا، وهو الإمام أحمد ابن تيمية -رحمه الله- قال: «وما زال في النصارى، من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة، من له مزية على غيره في المعرفة والدين، فيعرف بعض الحق، وينقاد لكثير منه، ويعرف من قَدْرِ الإسلام وأهله ما يجهله غيره، فيعاملهم معاملة تكون نافعةً له في الدنيا والآخرة».

سادساً: الاستهزاء بالأنبياء مسلك الأشرار:

إن تلك الإساءة التي نشرتها صحيفة (جيلاندز بوستن) لم تخرج عن طريقة أصحاب المناهج الشريرة، الذين حاربوا الأنبياء والمصلحين.

وهذا ما أخبرنا الله به عنهم في القرآن الكريم: فقال -تعالى-: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقال -سبحانه- عن اليهود: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣ و ٣٤].

سابعاً: الذين يؤذون الأنبياء توعدهم الله بالانتقام:

لقد كانت صحيفة (Jyllands-Posten) ومحرروها في عافية من دنياهم وانهماك في شهواتهم قبل أن يتعمدوا الاستهزاء بالرسول

ﷺ، ولكنهم بما نشروه وكتبته أيديهم قد أدخلوا أنفسهم ومَن تواطأ معهم في الوعيد الإلهي المسطر في القرآن الكريم : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر : ٣] أي : إنَّ مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئتَ به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ : الأقلُّ الأذلُّ المنقطعُ كلُّ ذِكرٍ له.

فهذه الآية تعم جميع من اتصف بهذه الصفة، من معاداة النبي ﷺ، أو سعى لإلصاق التُّهَم الباطلة به، ممن كان في زمانه، ومن جاء بعده إلى يوم القيامة.

وفي هذا يقول أحد علمائنا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد.

ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك،ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا :حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه» انتهى.

والأيام بيننا وبين أولئك المبطلين المستهزئين، لننظر من تكون له العاقبة، ومن الذي يضل سعيه، ويكذب كلامه، وتظهر للعالمين أباطيله وافتراءاته، فقد قالها أمثالهم، فلمن كانت العاقبة؟ وأين آثارهم؟ وأين مثواهم؟

قال الله -جل شأنه- في القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة : ٦١]، وقال الله -سبحانه-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب : ٥٧].

وقال الإمام العالم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :

«ومن سُنة الله أن من لم يُمكن المؤمنين أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله فإنَّ الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه، كما قال الله -سبحانه- : ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر : ٩٤ و ٩٥].

والقصة في إهلاك الله المستهزئين واحداً واحداً معروفة، قد ذكرها أهلُ السِّيَر والتفسير.

وهذا -والله أعلم- تحقيق قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] ؛ فكُلُّ من شَنَأَهُ أو أبغضه وعاداه فإنَّ الله -تعالى- يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره» اهـ.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: قال: «يقول الله -تعالى-: من عادى لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة».

فكيف بمن عادى الأنبياء؟

ومن حَارَبَ الله -تعالى- حُرِبَ.

وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أنَّ أُمَمَهم إنما أُهلكوا حين آذوا الأنبياء وقابلوهم بقبيح القول، أو العمل.

وهكذا بنو إسرائيل إنما ضُرِبَت عليهم الذِّلة وباؤوا بغضبٍ مِن الله، ولم يكن لهم نصير ؛ لقتلهم الأنبياء بغير حق، مضموماً إلى كفرهم، كما ذكر الله ذلك في كتابه.

ولعلك لا تجد أحداً آذى نبياً من الأنبياء ثم لم يَتُبْ إلا ولا بد أن يصيبه الله بقارعة.

ثامناً: هذه بعض أقوال المنصفين في رسول الله محمد ﷺ :

إن المنصفين من المشاهير المعاصرين عندما اطلعوا على سيرة رسول الله محمد ﷺ لم يملكوا إلا الاعتراف له بالفضل والنُّبل والسيادة، وهذا طرفٌ من أقوال بعضهم :

١- يقول (مهاتما غاندي) في حديث لجريدة (ينج إنديا): «أردتُ أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته.

هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسِفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة».

٢- يقول البروفيسور (راما كريشنا راو) في كتابه «محمد النبيّ» : «لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة.

فهناك محمد النبيّ، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً».

٣- يقول المستشرق الكندي الدكتور (زويمر) في كتابه «الشرق وعاداته»: «إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول -أيضاً- بأنه كان مصلحاً، قديراً، وبليغاً، فصيحاً، وجريئاً، مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء».

٤-يقول المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر) في كتابه «الشرقيون وعقائدهم»: «كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات، حسب أحوال زمانه، وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبيُّ بين ظهرانيها، فكان النبيُّ داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً، حتى مع أعدائه.

وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما : العدالة والرحمة».

٥- ويقول الإنجليزي (برناردشو) في كتابه «محمد»، -والذي أحرقته السلطة البريطانية!-: «إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد.

هذا النبيُّ الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد.

وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).

إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية!

لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمَّى منقذ البشرية.

وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لَوُفِّقَ في حلّ مشكلاتنا، بما يُؤَمِّنُ السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها».

٦- ويقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية، في كتابه «تاريخ حياة محمد»: «إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات، وحميد المزايا.

فلقد خاض محمدٌ معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مُصِرًّا على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ».

٧- ويقول المستشرق الأمريكي (سنكس) في كتابه «ديانة العرب»: «ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة».

٨- ويقول (مايكل هارت) في كتابه «مائة رجل في التاريخ»: «إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية.

ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته.

ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي -أيضاً-، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم، أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها».

٩- ويقول الأديب العالمي (ليو تولستوي) الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية:

«يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعةَ محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة».

١٠- ويقول الدكتور (شبرك) النمساوي: «إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته».

١١- ويقول الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) الحائز على جائزة نوبل يقول في كتابه «الأبطال»: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وَآنَ لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس.

أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!».

١٢- الأديب الألماني جوتة: «إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد».

تلكم بعض أقوال مشاهير العالم، في محمد نبي الرحمة ﷺ.

فلماذا المزايدات التي تضر ولا تنفع، وتهدم ولا تبني ؟!.

وختام هذا البيان موجه لإخواني المسلمين في أقطار الأرض :

أولاً: اعلموا أن سمعة الإسلام وسمعة النبي ﷺ مسئولية كل واحدٍ منكم، ذكوراً وإناثاً.

فينبغي على كل أحد أن يكون سفير خير ومنبر هدى في بيان حقيقة دين الإسلام، وحقيقة دعوة نبينا محمد ﷺ.

ثانياً: أتوجه للتجار ورجالِ الأعمال أن يكون لهم موقفهم الحازم غيرة على نبيهم محمد ﷺ، فينبغي أن يوقفوا كل التعاملات التجارية مع الدنمارك، حتى يتم الاعتذار وبشكل علنيٍّ ورسميٍّ من ذلك العمل الذي أقدمت عليه صحيفة (Jyllands-Posten,).

وليتذكروا أن المال زائل، لكن المآثر باقية مشكورة في الدنيا والآخرة، وأعظمها حُبُّ رسول الله ﷺ والانتصار له، ولهم أسوة في الصحابي الجليل عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول، في موقفه الحازم من أبيه، عندما آذى رسول الله ﷺ، وكيف أنه أجبر أباه على الاعتذار من رسول الله ﷺ، وإلا منعه من دخول المدينة، في الحادثة التي سجلها القرآن الكريم : ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون : ٨].

فهل يستجيب رجال الأعمال المسلمون لهذا الواجب في الغيرة على نبيهم ﷺ؟ وهل يكفُّون عن التعامل التجاري مع الدنمارك حتى يتم تقديم الاعتذار الرسمي؟ واشتراط عدم تكرار هذه الجريمة!

ثالثاً: أدعو إخواني المسلمين في كل مكان -ضمن القُدرة والاستطاعة- إلى إرسال استنكارهم، والمطالبة بالاعتذار إلى الجريدة على عناوينها التالية:

- مملكة الدنمرك، صحيفة (Jyllands - Posten).
- الهاتف والفاكس: (٤٥٨٧٣٨٣٨٣٨+) و (٤٥٣٣٣٠٣٠٣٠+).
- البريد الإلكتروني: (jp@jp.dk).

رابعاً: يجدر التواصل من قبل الشعوب الإسلامية مع وزارة الخارجية الدنمركية لإشعارها بالامتعاض والاستنكار لمساس الصحيفة المذكورة بمقدساتنا، وبيان أن ذلك لن يخدم تطور العلاقات القائمة على الاحترام فيما بين الشعوب الإسلامية والشعب الدنمركي.

خامساً: لما كان المسئولون بالدنمارك غير مبالين بدعوات السلام والبيان التي وُجِّهت إليهم، وبالنظر للإصرار على الحرية المزعومة في الاستهزاء والإساءة برسول الله محمد ﷺ، أو بأي من إخوانه النبيين -عليهم الصلاة والسلام-، فأرى أنه من غير اللائق أن يتوجه الناس لاقتناء أي سلعة منشؤها الدنمرك، وهم يجدون بديلاً آخر، حتى يكُفُّوا عن هذه السخرية ويعتذروا منها علناً، ويتعهدوا بعدم تكرارها.

وبعد:

فيا ربِّ هذا جهدي القليل، في الدفاع والانتصار لخاتم رسلك محمد ﷺ، لا تؤاخذني بما فيه من خلل أو تقصير. وبارك فيه بفضلك ومَنِّك ليكون نافعاً للناس، وليكون مقرباً لي لمرضاتك، وسبباً في صحبة نبيك يوم القيامة.

ويا ربِّ لا تعاقبنا بتقصيرنا في حق خليلك ورسولك محمد ﷺ، ووفِّقنا للإيمان به والعمل بما دلَّنا عليه، وإلى الذود عنه وعن شريعته.

اللهم وصلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ما تعاقب الليل والنهار، وصلِّ اللهم عليه وسلِّم كلما ذكره الذاكرون الأبرار، بمنك وكرمك.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

المحبة والنُّصرة بَيْنَ الشَّرع والعاطفة

• بقلم: فضيلة الشيخ سعد الحصين

ادَّكَرَ الحركيُّون (الموصوفون بالإسلاميِّين!) بعد أمَّةٍ أنَّ من الاستهزاء برسول الله ﷺ وإهانته رسمَ صورة كاركاتيرية ساخرةٍ له!

وتفجَّر الغضب في بلاد المسلمين، واستدعت بعض دول المسلمين سفراءها في الدانمرك بلد الجريدة المجرمة، فأعلن رئيس وزراء الدانمرك محالفته للجريمة. وهبَّ المنتمون للإسلام انتقامًا من الجريدة بمقاطعة منتجات بلادها، وتحريق رايتها وسفارتها، وكانت النتيجةُ الحقيقية نشر هذه الجريمة في كل وسائل الإعلام العالميَّة!

وكعادتي -بفضل الله ومنَّته عليَّ- عرضتُ الأمر على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبل أن أطلق العنان لعاطفتي الدينيَّة استجابةً لأمر الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال -تعالى- تحذيرًا من تحكيم الظنِّ والعاطفة في الدين وحَصْرًا للحكم في الدين على وحيه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، والعاطفة مبنيَّة على ما تظنُّه الأنفسُ وما تهواه بعيدًا عن شرع الله، وظهر لي ما يلي:

(١) ليس من شرع الله أخذ البلاد والدولة والنَّاس أجمعين بجريمة واحدٍ منهم،

فقد قال الله -تعالى- في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

(٢) أُهين رسول الله ﷺ واستهزئ به وتَمَنَّى له زُوَّاره من يهودٍ الموتَ (وهو وليُّ الأمر في المدينة)؛ إذ قالوا: (السَّام عليكم)، فما زاد على أن قال: «وعليكم»، ولما قالت عائشة -رضي الله عنها-: (وعليكم السام واللعنة!)، انتقامًا لرسول الله ﷺ -وهي الصدِّيقة بنت الصدِّيق- قال: «مهلاً يا عائشة! فإن الله يحبُّ الرِّفقَ في الأمر كلِّه» [رواه البخاري]. وفي رواية: «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش»؛ لأن الله قال له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

(٣) وحارب يهودُ المدينة رسولَ الله ﷺ ونقضوا عهودهم، وحاربهم، ومع ذلك لم يقاطع بضائعهم، فاشتهر أنَّه مات ودِرعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ في ثلاثين صاعًا من الشعير، وفي آخِرِ حربٍ دارت بينهم زارَعَهم في خيبرَ بنصف ما يخرُجُ منها؛ فيما رواه البخاريُّ ومسلم.

ومع أني أقاطع كثيرًا من المنتجات (بصرف النَّظر عن دين مُنتِجها) لأني لا أحتاج إليها، ومنها الجرائد والمجلات، ووسائل الاتصال، ومنها: الجوال و(البيجر) قبله، والكمبيوتر والسيارات الجديدة! فإني أعي الفرق بين الولاء والبراء، وبين المعاملة والتعاون على خيرٍ، وأعي الفرق بين الحلال والحرام وبين المباح، ولا أتقرب إلى الله إلا بما شرعه -ما وسعني ذلك-، لا بما تُمليه العاطفة.

(٤) ومن القيام بالقِسْطِ والشهادة على النفس أن أعترف بأنَّ سوءَ فَهْم رسَّام الكاريكاتير المجرم للنبيِّ ﷺ ووظيفته ودينه، وبالتالي وَصْفُه بالتفجير والإرهاب العدوانيِّ؛ كان نتيجةً لسوء فهم بعض المنتمين للإسلام دينَهم، وسوء عَرْضه للأمم تفجيرًا وعدوانًا وخيانةً وغدرًا اتِّباعًا للعاطفة الضَّالة عن سبيل الله -تعالى-، وسنة رسوله ﷺ، أو مخالفة لنصِّ الآية المحكمة: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فقد ردَّ بعضُ المؤيدين لحريَّة الرسَّام في التعبير على

منكري التعرُّض للمقدَّسات من المسلمين وغيرهم: بأنَّ جريدةً سوريَّة سبقت إلى ذلك؛ فلم يظهر إنكار من المسلمين ولا من غيرهم.

(٥) وجَهْلُ أكثرُ المسلمين بعِلْم الإسلام وخُلُقِه جرَّ على الإسلام وعلى المسلمين في هذا العصر -بل منذ الفاطميِّين- كثيراً من الفتن والمصائب في الدِّين عندما تولَّى العلمَ والدعوةَ المفكِّرون مثل: الحلاج، البِسْطامي، وابن عَرَبي؛ بفكر اليونانيين، ومِن ورائهم فكر الهندوس، ثم بالفكر الحديث الذي روَّج له مثل: الأفغاني، ومحمد عبده -تجاوز الله عنهما-، ولم يَسلَم كتاب الله من تأويل المتكلفين وبخاصة: بدعة (الإعجاز العلمي) ورائدها في العصر: طنطاوي جوهري -تجاوز الله عنه وعمَّن تبعه- مثل: مصطفى محمود، وعبد المجيد الزَّنداني، وزغلول النجَّار! وهم وأمثالهم لا يملكون بسطةً في العلم الشرعي، ولا النظريَّات الكونيَّة تُؤَهِّلُهم للقول على الله، وتخصَّص سيد قطب -رحمه الله- في بدعة (التصوير الفني في القرآن)، ليجتال الشيطانُ بالفكر أمةَ محمد ﷺ عن بيانه ما أنزله الله عليهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

(٦) مِن متابعتي نشاطَ الدعوة والدعاة في الثلاثة عقود الماضية لم أرَ من الحركيين والحزبيين -الموصوفين بالإسلاميين- غضبًا لله، ولرسوله، ولدينه، بسبب لعن الربِّ والدِّين بين من ينتمون للإسلام، وبخاصّةٍ في بلاد الشام، وبوجهٍ أخصَّ الأرض المقدسة التي بارك الله حولها، وفي العراق وفي المغرب العربي!

ولم أرَ منهم -بكلِّ توكيد- غضبًا لله ولرسوله ولدينه بسبب تقرُّب أكثر المنتمين للإسلام إلى الله بالشرك الأكبر عند المقامات، والمشاهد، والمزارات والأضرحة (أوثان الجاهلية الأولى والأخيرة) والبدع الأخرى!

(٧) كانت آخرَ وأهمَّ وصايا النبيِّ ﷺ لأمَّته: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد»، قالت عائشة -رضي الله عنها-: (يُحذِّر مثل الذي صنعوا). [متفق عليه].

ولا يكاد بلدٌ مسلمٌ -إلا ما رحم الله- يخلو من هذه الأوثان، ولم تقم جماعةٌ ولا حزبٌ (مما يوصَف بالإسلامي والإسلامية) لمحاربتها منذ ابتدعها الفاطميُّون، وحماها

العثمانيُّون، مع أنَّ حسن البنا وسيد قطب قائدَي جماعة الإخوان المسلمين، ومحمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ، وتقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير -تجاوز الله عنهم-؛ وُلِدوا وماتوا بين هذه الأوثان، وبين زوايا التصوف والموالد، والاحتفالات، والأعياد، والمدائح الدينية، وغير ذلك من البدع التي أشغل بها الشيطانُ وأعوانُه الناسَ عن معرفة السنن والعمل بها.

(٨) وجاء (رشاد خليفة) ليؤيِّد دينه بدعوى أن جميع سور القرآن ينقسم عدد حروفها على رقم (١٩) أو مضاعفاته، مستدلاً على بدعته بقول الله -تعالى- عن النَّار: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، وطار أكثرُ المنتمين للإسلام فرحًا بما جاء به، ولم أرَ من توقَّف عن قبولها غير هيئة كبار العلماء في دولة التوحيد والسنة، ثم تبيَّن للمسلمين أن رقم (١٩) هو الرقم المقدَّس عند فرقة خارجة عن الدِّين والسنة، وانتهى الأمر بقتله!

(٩) وجاء (دِيدات) ليؤيِّد دينه بسبِّ الإنجيل وتحقيره، ووصفه بالركاكة والتناقض، ودعوى أنَّه يستطيع الإتيان بمثله، فردَّ عليه بعضُ مناظريه (وبخاصة من لهم أصل عربيٌّ!) بأن قالوا عن القرآن مثل ذلك!

وهذه هي النتيجة التي حذَّر الله من وقوعها بسبب الدعوة بالجهل والسبِّ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

(١٠) وقد ظنَّ كثيرٌ من المنتمين للإسلام والتصوف أنَّ محبة رسول الله ﷺ تُبيح لهم إظهارها بما تشتهيه نفوسُهم دون رجوعٍ إلى الوحي، وفقه الأئمة الأُوَل في نصوصه، فعبَّر عنها بعضهم بالعشق، ومدحوه تبعًا لذلك بأنَّ (خدَّه أحمر مورَّد، ريقه سكَّر مكرَّر، بطنه طيُّ الحرير حين يشتدُّ الزفير، خدُّه التفاح الشاميُّ)!

وأصاب العدوى بعض المنتمين لأهل السُّنَّة: فوصفوه في خطب الجمعة، والقنوت (بالوجه الأنور والجبين الأزهر)، ذهولاً منهم عن الرجوع إلى النصِّ والفقه فيه.

بل وضع له المبتدعةُ تسعةً وتسعينَ اسمًا، وزعموا أنه خُلِق من نور الله، وأن من نعمته على الخلق: الدنيا والآخرة، وأن من علومه علم اللوح والقلم! وأن عمامته عَلَتْ على عرش الرحمن! وأنه الأول والآخر والظاهر

والباطن، وأن له كل أسماء الله -تعالى-، وأنّه أوتي علم الخَمْس [مفاتح الغيب]، تجد هذا التحريف -كُلَّه- في شعر البوصيري (البُردة)، والروَّاس الحموي «بوارق الحقائق»، وكتب محمد بن علوي المالكي «الذخائر المحمدية» و«شفاء الفؤاد» بخاصة.

وهي غيض من فيوض الصوفيَّة الضالة.

(١١) ونتيجةُ هذه القضايا الخاسرة -شرعًا وعقلاً وواقعًا- مخالفةُ شرع الله -تعالى- وسنة النبيِّ ﷺ، والتقرُّب بذلك إلى الله، والانشغال به عن معرفة الدين الحق، والرجوع إليه، والعمل به، والدعوة إليه، وإساءة سمعة الإسلام والمسلمين؛ مع أنهم -غالبًا- هم الملومون -أولاً- في مقدمة أكثر القضايا: هم الذين هجروا المسجد البابري خمس عشرة سنة انتهت بسلبه! وهم الذين أرسلوا بناتهم إلى المدارس العلمانية في فرنسا ثم غضبوا لمنع تغطية الرأس! وهم الذين اعتدوا على أمريكا في آسيا وأفريقيا ثم في أمريكا فجلبوا بذلك الدمار لأفغانستان ثم العراق!

هدانا الله وإياهم جميعًا لأقرب من هذا رشدًا.

(١٢) لا بدَّ من محبة الله ورسوله ودينه فوق كلِّ محبة، والانتصار لله ولرسوله ولدينه وَفق شرع الله -تعالى- وسنة نبيِّه ﷺ نيَّةً وقولاً وعملاً، لا للهوى والقوميَّة.

والله وليُّ التوفيق.

التحذير من (حماس) المراهقين!!

قال الإمام أبو زُرْعَة:

((هؤلاء المتكلمون لا تكونوا منهم بسبيل؛ فإنَّ آخر أمرهم يرجع إلى شيء مكشوف ينكشفون عنه! وإنما يتموَّه أمرهم سنة! سنتين!! ثم ينكشف، فلا أرى لأحد أنْ يناضل عن أحد من هؤلاء، فإنهم إن تهتَّكوا يوماً، قيل لهذا المناضل: أنت من أصحابه! وإن طُلِبَ يوماً طُلِبَ هذا به.

لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء...)).

[«تاريخ بغداد» (٨/٣٦٩-٣٧٠)]

المعنى الصحيح لمحبة النَّبي ﷺ وانقسام الناس فيها

• بقلم: الدكتور محمد خليفة التميمي

اعلم أن الله -سبحانه وتعالى- قد أوجب لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقاً زائدة على مجرَّد التصديق بنبوته، كما أوجب -سبحانه- على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أموراً زائدة على مجرد التصديق به -سبحانه-، وحرَّم -سبحانه- لحرمة رسوله -مما يُباح أن يُفعل مع غيره- أموراً زائدةً على مجرد التكذيب بنبوته.

فمن تلك الحقوق حقُّه ﷺ بأن يكون أحبَّ إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق، كما دلَّت على ذلك الأدلةُ من القرآن والسنة[1].

«فحبُّ النبي ﷺ من أعظم واجبات الدين»[2].

فهذه المحبةُ الواجبةُ له ﷺ هي من محبة الله، فهي حب لله وفي الله؛ ذلك لأن محبة الله توجب محبة ما يحبه الله، والله يحب نبيه وخليله ﷺ، فوجب بذلك محبته حقّاً، فهي متفرعة عن محبة الله، وتابعة لها، واقتران ذكرها مع محبة الله في القرآن والسنة: إنما هو للتنبيه على أهميتها وعظم منزلتها.

وبمقتضى هذه المحبة يجب موافقة الرسول ﷺ في حب ما يحبه، وكره ما يكرهه، أي: بتحقيق المتابعة له، فيحب بقلبه ما أحب الرسول، ويكره ما كرهه الرسول، ويرضى بما يرضى الرسول، ويسخط ما يسخط

(١) «الصارم المسلول» (ص ٤٢٠، ٤٢١) لشيخ الإسلام ابن تيميّة -بتصرف يسير.

(٢) «الرد على الأخنائي» (ص ٢٣١) لشيخ الإسلام ابن تيميّة.

الرسول، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض.

وقد انقسم الناس في فهمهم لهذه المحبة إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: أهل الإفراط.

القسم الثاني: أهل التفريط.

القسم الثالث: الذين توسَّطوا بين الإفراط والتفريط.

أما أصحاب القسم الأول: فهم الذين بالغوا في محبته بابتداعهم أموراً لم يشرعها الله ورسوله ﷺ، ظنّاً منهم أن فعل هذه الأمور هو علامة المحبة وبرهانها.

ومن تلك الأمور: احتفالهم بمولده، ومبالغتهم في مدحه، وإيصاله إلى أمور لا تنبغي إلا لله -تعالى-.

ومن ذلك قولُ قائلهم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذُ به

سواك عند حلول الحادث العَمَم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي

فضلاً وإلا فقُل يا زلَّةَ القدمِ[1]

وقولُهُ:

فإن من جودك الدنيا وضَرَّتَها

ومن علومك علمَ اللَّوح والقَلَمِ

فإذا كانت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ، ومن بعض علومه علم اللوح والقلم؛ لأن «من» للتبعيض، فماذا للخالق -جلَّ وعلا-؟!!

إضافةً إلى صرف بعض أنواع العبادة له، كالدعاء، والتوسل، والاستشفاع، والحَلِف به، والطواف والتمسُّح بالحجرة التي فيها قبره ﷺ، إلى غير ذلك من البدعيَّات والشركيَّات التي تُفعل بدعوى المحبة للرسول ﷺ.

وهي أمور لم يشرعها الله ورسوله ﷺ، ولم يفعلها الصحابة -رضوان الله عليهم-؛ الذين عُرِفوا بإجلالهم وتقديرهم ومحبتهم لرسول الله ﷺ.

وإضافةً إلى ذلك فإن ما يقوم به هؤلاء أمور مخالفة لما جاء به الشَّارع، بل هي أمور قد حذَّرَ الشَّارعُ من فعلها؛ ولقد صار حظ أكثر أصحاب هذا القسم منه ﷺ مدحه بالأشعار والقصائد المقترنة بالغلو والإطراء الزائد، الذي حذَّر منه الشَّارع الكريم، مع عصيانهم له في كثير من أمره ونهيه، فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له -صلوات الله عليه وسلامه-[2].

فيا ترى؛ أيُّ محبة هذه التي يخالف أصحابها شرع نبيهم، فيُحِلُّوا ما حرَّم الله،

---

(١) «ديوان البوصيري» (ص ٢٣٨).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص ١٨٦).

ويحرِّموا ما أحلَّ الله، فكرهوا ما أحبَّ الله ورسوله، وأحبُّوا ما كرهه الله ورسوله؟!

فكيف تكون لهؤلاء محبة، وهم قد ابتدعوا ما ابتدعوه من أمور لم تُشرع في الدين، ونعلم أن رسول الله ﷺ قد تبرَّأ ممن ابتدع في هذا الدين، فقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

والذي يجب على أمثال هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول وتعظيمه إنما تكون بتصديقه فيما أخبر به عن الله، وطاعته فيما أمر به، ومتابعته، ومحبته، وموالاته، لا بالتكذيب بما أرسل به، والإشراك به، والغلو فيه، فهذا لا يعدو كونه كفراً به، وطعناً فيما جاء به ومعاداة له[1].

كما يجب عليهم أن يفرقوا بين الحقوق التي يختص بها الله وحده، وبين الحقوق التي له ولرسله، والحقوق التي يختص بها الرسول ﷺ، فقد ميَّز -سبحانه- بين ذلك في مثل قوله: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح:٩]، فالتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح بكرة وأصيلاً لله، وكما قال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥٢]، فالطاعة لله ولرسوله، والخشية والتقوى لله وحده، وكما يقول المرسلون: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ٣].

فعلى هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول ﷺ لا تُنال بدعائه والاستغاثة به، فتلك أمور صرفُها لغير الله يعدُّ شركاً مع الله، فالله وحده هو الذي يُدعى ويُستغاث به، فهو ربُّ العالمين، وخالق كل شيء، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو القريب الذي يجيب الداع إذا دعاه، وهو سميع الدعاء -سبحانه وتعالى- عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

أما أصحاب القسم الثاني فهم أهل التفريط الذين قصَّروا في تحقيق هذا المقام، فلم يراعوا حقه ﷺ في وجوب تقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال.

كما لم يراعوا ما له من حقوق أخرى كتعزيره، وتوقيره، وإجلاله، وطاعته، واتباع سنته، والصلاة والسلام عليه... إلى غير ذلك من الحقوق العظيمة الواجبة له.

والسبب في ذلك يعود إلى إحدى الأمور التالية أو إليها جميعاً، وهي:

أولاً: إعراض هؤلاء عن سنة نبيهم ﷺ، وعن اتباع شرعه؛ بسبب ما هم عليه من المعاصي، وإسرافهم في تقديم شهوات

---

(١) «الرد على الأخنائي» (ص ٢٤، ٢٥)- بتصرف.

أنفسهم وأهوائهم على ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي.

ثانياً: اعتقاد الكثير أن مجرَّد التَّصديق يكفي في تحقيق الإيمان، وأن هذا هو القدْر الواجب عليهم، ولذا تراهم يكتفون بالتصديق بنبوة محمد ﷺ، دون تحقيق المتابعة له، وهذا هو حال أهل الإرجاء الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو تصديق القلب وإقرار اللسان، وما أكثرهم في زماننا هذا!

ثالثاً: جهل الكثير منهم بأمور دينهم؛ بما فيها الحقوق الواجبة له ﷺ، والتي مِن ضمنها محبته ﷺ، فكثير من الناس -ولا حول ولا قوة إلا بالله- ليس لهم من الإسلام إلا اسمه، وليس لهم من الدين إلا رسمه.

فالواجب على هؤلاء أن يعودوا إلى رشدهم، وأن يقلعوا عن غيهم، وما هم عليه من المعاصي والذنوب التي هي سبب نقصان إيمانهم وضعف محبتهم وبعدهم عما يقرِّبهم إلى الله -تعالى-.

كما يجب عليهم أن يعلموا أن مجرَّد التصديق لا يسمى إيماناً، بل الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان، فليس لأحد أن يخرج العمل عن مسمى الإيمان.

فلذلك يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله أن يطيع الله ورسوله، ويتبع ما أنزل الله من الشرع على رسوله ﷺ، فبذلك يحصل الإيمان، فإن الاتباع هو ميزان الإيمان فبحسب اتباع المرء يكون إيمانه، فمتى ما قوي اتباعه قوي إيمانه، والعكس بالعكس.

كما يجب عليهم معرفة أمور دينهم وبخاصَّة الواجب منها، والتي من ضمنها معرفة ما للمصطفى ﷺ من الحقوق الواجبة، فلقد ذمَّ الله -تبارك وتعالى- أولئك النفر الذين لم يعرفوا ما للنبي ﷺ من حق في عدم رفع الصوت عند مخاطبته أو مناداته، ووصفهم الله بأنهم لا يعقلون؛ قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات:٤]، وفي السورة نفسها أثنى على الذين عرفوا حق المصطفى ﷺ، فقال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات:٣]، والله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابه العزيز:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩].

ولْيعلم هؤلاء أنه لا يتحقق لهم إيمان ولا محبة إلا باتباعهم للمصطفى ﷺ، واقتدائهم بسنته، والسير على نهجه وهداه.

أما القسم الثالث: فهم الذين توسطوا بين الطرفين السابقَين أهل الإفراط وأهل التفريط.

فأصحاب هذا القسم هم السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكماً، وقاموا بمقتضاها اعتقاداً، وقولاً، وعملاً، فأحبّوا النبيَّ ﷺ فوق محبة النفس، والولد، والأهل، وجميع الخلق امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، فجعلوه أولى بهم من أنفسهم؛ تصديقاً لقوله -تعالى-: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦]، وأيقنوا بوجوب أن يوقى بالأنفس والأموال طاعة لقوله -تعالى-: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ [التوبة:١٢٠]، وقاموا بمقتضى هذه المحبة اعتقاداً، وقولاً، وعملاً بحسب ما أوجب الله لنبيه ﷺ من حقوق على القلب، واللسان، والجوارح، من غير إفراط ولا تفريط، فآمنوا به، وصدقوا بنبوته ورسالته وما جاء به من ربه -عز وجل-، وقاموا -بحسب استطاعتهم- بما يلزم من طاعته، والانقياد لأمره، والتأسي بفعله، والاقتداء بسنته، إلى غير ذلك مما يعدُّ من لوازم الإيمان برسالته.

قال -تعالى-: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧]، وامتثلوا لما أمر به -سبحانه وتعالى- من حقوق زائدة على مجرّد التصديق بنبوَّته وما يدخل في لوازم رسالته.

فمن ذلك امتثالهم لأمره -سبحانه- بالصلاة عليه والتسليم، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، وما أمر به -سبحانه- من تعزيره وتوقيره، قال -تعالى-: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ [الفتح:٩] ، فتعزيره يكون بنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ﷺ.

وتوقيره: يكون بإجلاله وإكرامه، وأن يعامل بالتشريف والتكريم والتعظيم، بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[1].

---

(١) «الصارم المسلول» (ص ٤٢٢).

ويدخل في ذلك مخاطبته بما يليق، قال -تعالى-: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور:٦٣].

وحرمة التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرمة رفع الصوت فوق صوته، وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات:١-٣].

فقاموا بهذه الأمور امتثالاً وطاعةً لأمر الله -تبارك وتعالى-، وأدَّوا ما فرض عليهم من الحقوق الأخرى التي يطول ذكرها.

وهم مع قيامهم بهذه الأمور لم يتجاوزوا ما أُمروا به، فلم يغالوا ولم يبالغوا؛ كما فعل أهل الإفراط الذين وصفوا النبي ﷺ بأمور لا تنبغي لغير الله: كعلم الغيب، وصرفوا له أموراً لا يجوز صرفها لغير الله: كدعائه، والسجود له، والاستغاثة به، والطواف بقبره.

بل هم مؤمنون بأن ما أكرم الله به نبيه ﷺ من النبوة، والرسالة، والرفعة، وعظم القدر، وشرف المنزلة، كل ذلك لا يوجب خروجه عن بشريته وعبوديته لله، قال -تعالى-: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٣].

واعتقدوا أنه ليس من المحبة في شيء الغلوُّ في حقه وقدره، ووصفه بأمور قد اختصَّ الله بها وحده، بل علموا أن في هذا مخالفة ومضادة لتلك المحبة، ومناقضة لما أمر به -سبحانه وتعالى- نبيه ﷺ أن يقوله لأمته: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقال -تعالى-: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥].

فكل غلو فيه ﷺ ليس من محبته في شيء، بل يعد مخالفة لما أمر به، فيجب الابتعاد عن ذلك، والحذر من عقوبته، قال -تعالى-: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]، كما يعدُّ مشاقّة للرسول ﷺ، قال

-تعالى-: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

ولذا؛ فإنه يجب الحذر من حال الغلاة الذين غلوا في حق النبيّ ﷺ بما ابتدعوه من الأمور التي لم يشرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله، بل حذّر الله ورسوله منها.

وقد يظن البعض بأن السير على منهج أهل التوسط فيه انتقاصٌ مِن قدر النبي ﷺ، وغمط لحقه، والأمر على عكس ما يظنون؛ فالذي يعتقده السلف الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين- أن الحق الواجب أن يثنى على النبي ﷺ بما هو أهلٌ له من الخصائص الثابتة له التي خصّه الله بها، والفضائل العظيمة التي شرفه بها، والصفات الخَلقيّة والخُلقيّة التي كان عليها؛ وذلك للتعرف إليه، وتعريف الناس بفضله، ومكانته، وعظيم قدره عند الله وعند خلقه، حتى يُتَأسّى ويُقْتَدى به في أقواله وأفعاله، فهو الأسوة والقدوة -عليه أفضل الصلاة والتسليم-، قال -تعالى-: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

فمن صميم المحبة له ﷺ الاشتغال بمعرفة سيرته بقصد التأسي والاقتداء بما كان عليه من كريم الخصال، ومحاسن الأفعال والأقوال، وكذا معرفة شمائله ودلائل نبوته التي تُعمّق إيمان المسلم بصدق نبوته، وتزيد في محبته وتعظيمه ﷺ.

ولقد اهتم السلف بهذه الجوانب وأَوْلَوها رعايتهم واهتمامهم، فاعتنوا بتأليف المؤلفات التي أوضحت هذه الجوانب وأبرزتها، فقد أُلِّفت لهذا الغرض كتب «الشمائل» التي اعتنت بذكر صفاته وأحواله في عباداته، وخلقه، وهديه، ومعاملاته[1]، كما أُلِّفت كتب «الدلائل» التي اعتنت بدلائل وعلامات نبوته ﷺ[2].

هذا بالإضافة إلى ما كتب في «الفضائل» و«الخصائص» التي كانت للنبي ﷺ.

كما اعتنوا بأصل هذه الجوانب جميعها ألا وهو «سيرته» الشريفة ﷺ، فقد أُلِّفت لهذا الغرض

---

(١) من تلك الكتب: كتاب «الشمائل» للترمذي، كتاب «الشمائل» لابن كثير.

(٢)منها: كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني، وكتاب «دلائل النبوة» للبيهقي.

المؤلفات التي اعتنت بحياته منذ ولادته إلى وفاته، وضمت في جوانب ذلك الحديث عن نشأته وبعثته، وما حدث له من الأمور قبل الهجرة وبعدها، وما كان من أمر دعوته وغزواته وسراياه، وما يتعلق بهذه الجوانب وغيرها مما هو داخل في سيرته[1]، فقد دُوِّنَت هذه الجوانب جميعها وخُدِمت بقصد أن يتأسى الناس به ﷺ، وأن يتعرّفوا على كمال ذاته ﷺ وما تميّز به من صفات، وتفرّد به من أخلاق لتزيد تلك المعرفة من محبتهم له، وتنميتها في قلوبهم، ولتبعث في نفوسهم تعظيمه وإجلاله.

وبهذا يعلم أن أهل التوسط لم ينتقصوا من قدره ﷺ، بل حفظوا وحافظوا على كل ما من شأنه أن يضمن استمرارية محبة الأمة وتعظيمها له.

فهذه حال أهل التوسط، وهذا هو منهجهم؛ فمن أراد أن يسير على النهج القويم، ويسلك الصراط المستقيم فعليه بسبيل أهل الإيمان وطريقهم ألا وهو الكتاب والسنة، فذاك طريق الحق، والحق أحق أن يتّبع.

وهذا منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، فقد كانت محبتهم للنبي ﷺ تحكمها قواعد الكتاب والسنة، فما أمر به الشّارع ائتمروا به، وما نهى عنه الشّارع انتهوا عنه، ولم يحكموا في هذه المحبة عواطفهم وأهواءهم كما فعل أهل الإفراط الذين زلّتْ بهم أقدامهم بسبب غلوهم في حقه، ذاك الغلو الذي دفعهم إليه تحكيم أهوائهم، وهو غلوٌّ ما أنزل الله به من سلطان، بل إن نصوص الشرع تنص على تحريمه.

وإنه ليصدق وصف أهل الإفراط بقوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠].

فخلاصة القول في هذا الجانب: أن المفهوم الصحيح لمحبته ﷺ يتمثل في ذلك المفهوم الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم، ذلك المفهوم المستمد من آيات القرآن ونصوص السنة، والذي لم يخرج عنهما قِيد أنملة.

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) ومن أشمل الكتب التي تحدثت عن سيرته ﷺ كتاب «السيرة» لابن كثير.

❖ الحلقة الأولى

نظرة تأصيليّة شرعيّة في المقاطعة الاقتصاديّة

(مقدمات ومداخل)

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وبعد:

فإنّ المقاطعة الاقتصاديّة سلاح استخدمه الكفّار -قديماً وحديثاً-، استخدموه فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين المسلمين من جهة أخرى، واستخدمه المسلمون -قديماً وحديثاً- ضدّ الكافرين، وكانت للعلماء والمصلحين كلمات مباشرة في هذا الموضوع، ولا سيَّما ما كتبه غير واحد منهم، وسيأتي ذلك في محلّه -إن شاء الله تعالى- في الثناء على الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود عند إعلانه مقاطعة اليهود، وعدم تصدير البترول السعودي لها.

وقبل إبراز القواعد الفقهيّة والأصوليّة التي يمكن تخريج حُكم المقاطعة عليها، وسرد النصوص التي تشمل بعمومها وفحواها هذا الموضوع الحيوي الذي اختلفت فيه وجهات نظر طلبة العلم، أو ذكر المقاصد الشرعيّة العامّة التي تخصّ المعاملات، وربطها بمآلات الأفعال، وازدحام المصالح والمفاسد القائمة في محلّ جريانها فيها، لا بدّ من نبذة عامّة عن (المقاطعة) نُظهِرُ فيها معناها المراد، وأقسامها عند أهل الاقتصاد، وأشهر أمثلتها التي وقعت في دول العالم.

لم أظفر بأثرٍ، ولم أَحْظَ بخبرٍ -يا للأسف- عن (المقاطعة) ومعناها وحكمها في (الموسوعات الفقهيّة) التي وقفتُ عليها، مثل: «الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة» الصادرة عن وزارة الأوقاف بالكويت، و«موسوعة الفقه الإسلامي» التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة بمصر، ولم يتطرّق لها من كَتَبَ من الأفراد -أيضاً- مثل عبدالحليم عويس في «موسوعة الفقه

الإسلامي المعاصر»، ولم تتطرّق «دائرة المعارف الإسلاميّة»، ولا «الموسوعة الإسلاميّة العامّة»، ولا «موسوعة المفاهيم الإسلاميّة العامة»، ولا «التعريفات الفقهيّة» لمحمد عميم البركتي، ولا «معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة»، ولا «القاموس الفقهي»، ولا «المعجم الاقتصادي الإسلامي»، ولا «موسوعة المصطلحات الاقتصاديّة والإحصائيّة» لهذا المفهوم، ومن باب أولى إهماله من كتب المصطلح البعيدة التي لا صلة لها فيها، مثل: «معجم المصطلحات والألقاب التاريخيّة»، و«المعجم الجامع في المصطلحات» وما على شاكلتها، وكذا إهمال كتب المصطلح القديمة له، وقد نظرتُ في عدد لا بأس به منها، فلم أجد بغيتي فيها، ولا قوّة إلا بالله.

ولكنني وجدت في «الموسوعة العربيّة العالميّة» في المجلد الثالث والعشرين (ص٥٦) كلمة جيدة تحت (المقاطعة الاقتصاديّة)، هذا نصّ ما فيها بحروفه:

«المقاطعة الاقتصاديّة: رفض التعامل مع شخص أو منظمة أو دولة، وتشمل معظم أنواع المقاطعة رفض شراء منتجات شركة، أو دولة، وعادةً ما تلجأ إلى المقاطعة نقابات العمّال، ومجموعات المستهلكين، والحكومات لإجبار شركة أو حكومة للتغيير من سياستها.

لجأت نقابات العمّال للمقاطعة الاقتصاديّة لكسب شروط عمل أفضل لموظفيها.

وهناك نوعان من المقاطعة الاقتصاديّة العمّاليّة: نوع رئيسي ونوع ثانوي، ففي المقاطعة الاقتصاديّة الرئيسيّة يرفض الموظفون شراء منتجات شركتهم، وعادة ما تكون هذه المقاطعة غير فعّالة وغير مفيدة؛ لأنّ قليلاً من منتجات المؤسسة يشتريه العاملون لديها.

أمّا في المقاطعة الاقتصاديّة الثانويّة، فيتسبَّب إضراب الموظفين عن العمل في ضغوط على العاملين في شركات أخرى مما يؤدي إلى توقفهم عن التعامل مع المسؤولين في شركاتهم، وفي العديد من البلدان يعتبر الإضراب الثانوي غير قانوني.

وتستخدم مجموعات المستهلكين المقاطعة الاقتصاديّة باعتبارها شكلاً فعّالاً من أشكال التعبير عن الاحتجاج، ففي أوروبا بعد الحرب العالميّة الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) امتنع كثير من الناس عن شراء البضائع المصنَّعة في

ألمانيا بسبب احتلالها لبلادهم، وفي الولايات المتحدة خلال الفترة (١٩٥٥-١٩٥٦) قاطع السود في مدينة مونتجمري بولاية ألَبَاما نظام سير حافلات المدينة مما قضى على سياسة الفصل الاجتماعي داخل الحافلات منذ الستينيات، هذا وقد رفض المستهلكون في بلدان عديدة منذ مطلع الستينيات حتى أوائل تسعينيات القرن العشرين شراء بضائع من جنوب إفريقيا؛ احتجاجاً على سياسة التفرقة العنصريّة هناك.

وقد استخدمت الحكومات المقاطعة الاقتصاديّة لأغراض عديدة، ومثال ذلك: أنّ معظم الدول العربيّة كانت تُقاطع إسرائيل لأنها اغتصبت أرض فلسطين العربيّة، وقد رفضت الولايات المتحدة وبلدان أخرى عديدة حضور دورة الألعاب الأوليمبيّة لعام ١٩٨٠م في موسكو احتجاجاً على الغزو السوفييتي لأفغانستان في سنة ١٩٧٩م» انتهى.

قال أبو عبيدة: وفي المجلد التاسع (ص٤٤٦) من «الموسوعة» نفسها تأكيد على المعنى نفسه مع توسع في استخدام نوع من أنواع هذه المقاطعة تحت إشراف قانوني من الدول القويّة (الأمم المتحدة)، وهي -أيضاً- على ضروب وألوان، ولكن جعلوا المقاطعة في هذه المرة تحمل اسم (الحظر التجاري)، ففي الموسوعة المذكورة ما نصّه -أيضاً-:

«الحظر التجاري: أمر يُلجأ إليه لإيقاف انتقال البضائع إلى بلد آخر عن طريق البر أو الجو، وتُصدر الحكومة هذا الحظر لمنع دخول أو خروج سفن تجاريّة معيَّنة من موانئها، كما يُمكن للحكومة أن تفرض حظراً لإعاقة المساعي الحربيّة للبلد الآخر، فقد منعت الولايات المتحدة -على سبيل المثال- تصدير الأسلحة وأجهزة الحاسوب إلى البلاد الشيوعيّة.

وفي بعض الأحيان تفرض الحكومة حظراً تجاريّاً على بلد ما تعبيراً عن معارضتها لإجراءات يتخذها ذلك البلد.

كما يستخدم الحظر للضغط على الحكومة المسيئة حتى تغيّر من سياستها، وقد أقرّت الأمم المتحدة استعمال الحظر لهذا الغرض، ففي عام ١٩٥١م طُلب من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة أن يدعم وجود قوات الأمم المتحدة المشاركة في حرب كوريا، وذلك بقطع إمدادات الأسلحة عن المناطق التي كانت تقع في أيدي الصينيين والكوريين الشيوعيين في الشمال».

قال أبو عبيدة: لا عبرة بالأسماء والمباني، والعمدة على الحقائق والمعاني، والأحكام الشرعيّة تتعلّق -أصالةً- بالأفعال لا بالذوات إلا في مناسبات واستثناءات وضروريّات، فلا فرق في (المقاطعة الاقتصاديّة) من حيث أصل المشروعيّة سواء خرجت بقوّة السلطان والإمام، أم قام بها العلماء، أم الخبراء، أو سيطرت قناعة ما على شخص ما لملابسات وظروف دعته أن يترك شراء سلعة، أو بيعها، أو رأى أهل الاستنباط والاجتهاد تعليق ذلك على أهل الحل والعقد، أو أهل الخبرة والاختصاص.

وسيأتيك -إن شاء الله - تعالى- إشارات وومضات إلى بعض الضوابط المهمات، وإفاضات وإضافات في تغيّر الأحكام بناء على الآثار المترتبة على المقاطعات، فالنصّ الشرعي المنزّل ثابت وشامل وحاكم وفيه عصمة، بخلاف الاستنباط، فإنه يدور على المصلحة التي تظهر للمجتهد، ولذا؛ فهذه المسألة ليست قطعيّة من جهة، وأحكامها تدور على مجموعة أمور.

وَهَمّي من هذه المقالة -والتي تتبعها- ذكر القواعد الشرعيّة التي تُخرَّج عليها المقاطعة الاقتصاديّة، وسرد كلام علمائنا المعتبرين في أشهر المقاطعات التي حصلت، ومحاولة حصر الضوابط التي لها أثر على المقاطعة.

والفائدة من هذا لا تخفى على من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد على ما يحصل ببلاد المسلمين، ولا سيَّما بعد صدور قانون الحريّة الدينيّة الأمريكي عام ١٩٩٨م، فهو على الرغم من اعتباره الحريّة الدينيّة حقّاً إنسانيّاً من حقوق الإنسان المقدسة، وقدّم الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) لهذا القانون بقوله:

«ليس من قبيل المصادفة أن تكون حريّة العبادة واحدة من الحريّات الأساسيّة في ميثاق الحقوق الأمريكي، فهي أولى الحريّات الإنسانيّة، حرية نطق الكلمات التي يضعها الله في أفواهنا، وعلينا أن نقف مع تلك الحريّة في بلدنا، وأن ندافع عن تلك الحريّة في العالم».

أقول: فعلى الرغم من المناداة بالحريّة الدينيّة المشتركة بين كل البشر، وضرورة تعزيز هذا النوع من الحريّات، إلا أنّ العالم الغربي شهد بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م انقلاباً غير مسبوق في التضييق على حريّات المسلمين، ليس في الجانب الديني فقط، ولكن على كل المستويات الحياتيّة، فمن

حادث اعتداء على المساجد، إلى تهجُّم على النساء المحجبات، ومن إصدار قانون منع المحجبات من العمل أو الدراسة، ومنع أداء الصلوات في أماكن العمل، إلى كتابة مقالات ونشر رسوم كاريكاتوريّة تسيء إلى دين الإسلام، وتنتقص مقام خير الخلق محمد ﷺ.

وقد تسبّب الحادث الأخير عن رد فعل انفعالي على ضرورة مقاطعة بلاد الدنمارك التي نشرت جرائدُها صوراً كاريكاتوريّة تسيء إلى رسول الإسلام والسلام، بل إلى رسول العالم أجمع، أفضل الرسل وخاتمهم محمد بن عبدالله ﷺ -فداه أبي وأمي-.

وقد كثرت بعد الحادثة الموماً إليها أسئلة الناس عن المقاطعة، وما هي الأدلّة عليها؟ ومن قال بها من العلماء؟ وإن كانت مشروعة؛ فهل هي واجبة، أو مندوبة، أو مباحة؟

وهذا ما تجد الأجوبة عليه في الحلقات القادمة.

والله الهادي والواقي.

مِن (فقه الواقع)

«... ولذلك لن يَنجح العرب فيما أعتقد -والعلم عند الله- في استرداد أرض فلسطين باسم العروبة -أبداً-، ولا يمكن أن يَستردوها إلا باسم الإسلام؛ **على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه**؛ كما قال -تعالى-: ﴿إنّ الأرض لله يورثها مِن يشاء مِن عباده والعاقبة للمتقين﴾، ومهما حاول العرب، ومهما ملؤوا الدنيا مِن الأقوال والاحتجاجات! فإنهم لن يفلحوا -أبداً- حتى ينادوا بإخراج اليهود منها: باسم دين الإسلام، بعد أن يطبقوه في أنفسهم ...».

[«تفسير ابن عثيمين» (١/ ١٦٩)]

وقفات مع (الصواعق)

• بقلم: خالد بن عثمان

هذه وقفات مع هذا الحدث قصدت بها المذاكرة معكم معاشر الغُيّر على عِرْض رسول الله ﷺ، فأسأل الله أن ينفع بها:

الوقفة الأولى:

إن ما رأيناه أو طرق أسماعنا من تحرك واسع تداعى الناس فيه إلى الذب عن نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام- سواء كان ذلك بإلقاء الخطب أو المحاضرات، أو عقد الندوات، أو الدعوة إلى مقاطعة الدانمارك والنرويج تجارياً، حتى ضحّى كثير من خيار التجار المسلمين ببعض ما بأيديهم نصرة لدينهم، فنسأل الله أن يعوِّضهم خيراً، إلى غير ذلك من الجهود الطيبة يُعد من العمل الصالح الذي يدل على إيمان نابض، وغيرة شرعية على عرض صاحب الرسالة -عليه الصلاة والسلام- يُحمدون عليها ويُثابون.

الوقفة الثانية:

في مثل هذه الأحداث والتداعيات يحتاج الناس إلى مرجعية موثوقة يتلقَّوْن منها التوجيه لتحقيق الأهداف وتنتفي المفاسد والمحاذير، ولايصح بحال من الأحوال أن يكون كل أحد في مقام الموجِّه عبر وسائل ينشئها عبر الجوال أو غير ذلك من الوسائل فتحملهم الغيرة على ارتكاب بعض المحاذير والمخالفات الشرعية كما سنبين.

الوقفة الثالثة:

يجب على المسلم التثبت والتريث فلا يُقدِم على أمر حتى يتبينه، ويتوثق منه، وذلك أننا بحاجة إلى تمييز كثير مما يرد إلينا من رسائل أو ما يُنشر في الشبكة العنكبوتية أو ما نسمعه في المجالس، أو غير ذلك مما يتعلق بجوانب متعددة فمن ذلك:

١ - التحقق من نسبة المنتَج إلى أولئك كي لا نقع في شيء من الظلم لأحد من المسلمين أو غيرهم، وهنا قد تدخل المنافسات بين الشركات ويبدأ تصفية الحسابات فنُصيب قوماً بجهالة.

٢ - قد يكون لهم شراكة في بعض المنتجات ثم زالت وتحول الأمر إلى غيرهم وهو أمر لا بد من معرفته لئلا نُلحق بأحد ضرراً من هذه الجهة

٣ - ربما كان التصنيع برمته في بلاد المسلمين إلا أن المصنع حصل على ترخيص من شركة هناك فمثل هذا تكون المقاطعة فيه عقاباً لصاحب المصنع، وهذا غير مراد .

٤ - الاندفاع غير المنضبط قد يحمل صاحبه على دعوة الناس إلى أمور لا يُقَرون عليها كمن يدعو على توحيد الصيام والدعاء في يوم بعينه، أو يدعو إلى نشر رسالة مكذوبة يزعُم مختلقها أنه رأى الرسول ﷺ ويذكر أموراً، ويطالب بنشرها إلى عشرة أشخاص وأنه سيرى بعد أربعة أيام - إن فعل - أمراً يسره، وإن لم يفعل رأى أمورا تسوؤه!

وقد يدعو بعضهم إلى مظاهرة (في البلاد التي لا تسمح بذلك)، أو أذية للأشخاص الذين ينتسبون إلى ذلك البلد لمجرد انتسابهم إليها دون أن يكون لهم جُرم، وهذا كله لايسوغ، بل يؤدي إلى مفاسد أعظم كما لا يخفى .

٥ - التحقق من صحة الأخبار التي تصل إلينا، ولايسوغ أن ننشر شيئاً من ذلك إلا بعد التأكد من صحته .

٦ - التوثق والتحري فيما قد يُنشر في بلاد أخرى من هذه الرسومات أو غيرها، فنفرق بين من فعل ذلك على وجه الاستهزاء والمكابرة، وبين من فعله قاصداً بذلك نقل الخبر (مع عدم إقرار هذا الصنيع) .

الوقفة الرابعة :

ينبغي أن يكون لدينا أهداف واضحة ومطالبات محددة، فهذه المقاطعة إلى أي مدى ستنتهي ؟ هل نكتفي باعتذار الرسام، أو الصحيفة، أو لابد من اعتذار الحكومة، أو نطالب مع ذلك كله بمحاكمة الرسامين ورئيس التحرير، أو نطالب بتسليمهم لمحاكمتهم شرعاً وإقامة حكم الله فيهم ؟

الوقفة الخامسة :

لا ينبغي تخذيل الناس وتوهين عزائمهم تارة بدعوى عدم جدوى المقاطعة، وتارة بأن ذلك لم يقع حينما أهينت أوراق المصحف، إلى غير ذلك مما قد يُقال، لكن ينبغي أن يُعلم أن آثار المقاطعة ظهرت جلية على ألسنة القوم وفي اقتصادهم، وأما القول بأن هذا التحرك لم يقع عندما اعتُدي على القرآن الكريم فنقول: إن الضعف والتفريط في جانب لا يعني أن نفرط في الجوانب الأخرى، فإذا حصل تقصير في الانتصار للقرآن فليس

معنى ذلك أن نخذِّل الناس عن الانتصار لرسول الله ﷺ .

الوقفة السادسة :

التحليل والتحريم إنما يكون من قبل الشارع، ولا يجوز أن نُلزم الناس بأمر لم يُلزمهم الله به، فلا يسوغ إطلاق عبارات نُحرم فيها بيع بضائع هؤلاء، أو نوجب شرعاً مقاطعة منتجاتهم، ومعلوم أن البيع والشراء مع الكفار جائز شرعاً حتى الحربي منهم، لكن نقول: المقاطعة الاقتصادية في هذا العصر سلاح مؤثر، ومن هنا نحث الناس على ذلك، لكن لا نقول بوجوبه أو نؤثم من عاملهم .

الوقفة السابعة :

الحذر الحذر من رد باطلهم بباطل مثله، وإنما ذكرت ذلك لما رأيت مَن يؤيِّد كلاماً يتضمن إساءة لعيسى -عليه السلام-، وهذا جرم عظيم قد يفعله بعض مَن لا خلاق له مِن اليهود ونحوهم، وقد تصدر بعض هذه الحماقات من جهلة لا يراقبون الله في أقوالهم وأفعالهم كما ذكر شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٦/ ٢٥-٢٦) عن بعضهم أنه ربما أعرض عن فضائل علي -رضي الله عنه- وأهل البيت لما رأى غلو الرافضة فيهم وتنقصهم للشيخين -رضي الله عن الجميع-ونقل عن بعض الجهلة أنه قال :

سُبُّوا علياً كما سَبُّوا عتيقكم

كفر بكفر، وإيمان بإيمان

كما ذكر أن بعض المسلمين يعرض عن فضائل موسى وعيسى -عليهما السلام- بسبب اليهود والنصارى! حتى حُكي عن بعض الجهال أنهم ربما شتموا المسيح -عليه السلام- حين سمعوا النصارى يشتمون نبينا محمداً ﷺ في الحرب .

الوقفة الثامنة :

إذا كان المطلوب هو مقاطعتهم لما يحصل من جراء ذلك من تأثير اقتصادي عليهم فإن هذا يتوجه إلى من يستورد منهم البضائع، وقد لا يرتدع بعض هؤلاء إلا إذا رأى بضاعته التي استوردها كاسدة في الأسواق، لكن من عُلم منه الصدق بأنه عزم على عدم الاستيراد منهم مستقبلاً، أو أنه لا يشتري هذه البضائع من مستورديها في المستقبل، فهل نطالب مثل هؤلاء بإتلاف ما بحوزتهم من بضائع قد صُنعت في تلك البلاد ؟ فهذا موضع ينبغي التفريق فيه بين هذه الأحوال، والله أعلم .

الوقفة التاسعة :

علينا أن نوحد الجهد لتكون المقاطعة حالياً للدينمارك والنرويج، دون أن نشتت ذلك بالمطالبة بتوسيع نطاقها، وإلا فإن ذلك سيؤدي إلى تلاشيها، ولكن يمكن بعد أن تتحقق أهداف المقاطعة أن يُنظر في توجيهها لغيرهم .

الوقفة العاشرة :

لا يجوز للمسلم في مثل هذه الأمور أن يكون جسراً ومعبراً لتلك الرسومات فيساعد على نشرها حينما يتحدثُ عن هذا الموضوع بعرضها على الناس فيسيء وهو لا يشعر .

الوقفة الحادية عشرة :

ينبغي استغلال هذا الحدث داخل المجتمعات الإسلامية، وخارجها، أما الداخل فبمطالبة الناس بالتمسك بسنة النبي ﷺ، واتباعها وبإحياء سيرته بينهم، وبيان حقوقه وما إلى ذلك، عبر دروس ومحاضرات وخطب، إضافة إلى إحياء عقيدة الولاء والبراء، وبيان عداوة الكفار، وبطلان ما يتشدقون به من التسامح واحترام الأديان ... إلخ .

وأما في المجتمعات الكافرة فبتعريفهم بمحاسن دين الإسلام، وشمائل نبي الهدى ﷺ، وسيرته العطرة .

الوقفة الثانية عشرة :

وافق وقوع هذه المقاطعة لدولة ليست قوية، كما أنها قليلة السكان، وما يستورد منها قليل -أيضاً- مقارنة ببعض الدول الشرقية أو الغربية، وهي فرصة مناسبة للجميع بأن يُظهروا تضامنهم ويُوحدوا وجهتهم، وبهذا يمكنهم أن يبعثوا رسالة واضحة للعالم أجمع أنهم لا يقبلون المساس بدينهم ومعتقداتهم ومقدساتهم، وأنهم أمة حية صاحبة رسالة تعيش وتموت من أجلها .

وبهذا -أيضاً- يمكن أن نستعيد قدراً من الثقة لدى المسلمين بعد أن توالت عليهم الهزائم في مختلف الميادين، فيحصل شيء من الشعور بالعزة الإيمانية، ومن هنا يمكن أن نشتت بعض الجهود الرامية إلى إغراق الأمة بالمشكلات، والشبهات، والشهوات، لتكون أمة لاهية عابثة لا هدف لها في هذه الحياة .

المقاطعة وحكم الشرع فيه

• بقلم: فضيلة الشيخ عبدالله العبيلان

إن الله ورسوله ﷺ شَرَعَا لهذه الأمة إيجاب إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله؛ قال -تعالى-: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠] ، وقال -عليه الصلاة والسلام- : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» [أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد]، قال ابن القيم -رحمه الله-[1] : «إنكار المنكر أربع درجات: الأولى:أن يزول ويخلفه ضده. الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله. الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه. فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة». اهـ

أسوق هذا الكلام مؤصلاً لمسألة حصل فيها شيء من الخلاف، وهي مسألة مقاطعة المنتجات الدانماركية نتيجة تعديهم على مقام نبينا ورسولنا محمد ﷺ، إلى حد لا يفهم منه إلا مناصبة العداء لما جاء به النبي ﷺ من دين الإسلام عقيدة ومنهاجاً وأخلاقاً وسلوكاً.

ولا يَشُكُّ مسلم أن سب الرسول ﷺ من أعظم المنكرات التي يجب على المسلم إنكارها، سواء صدرت من شخص أو جماعة أو دولة.

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ٤).

قال ابن القيم -رحمه الله-[1] : «وحكم ﷺ بأن من أغلق بابه، أو دخل دار أبي سفيان، أو دخل المسجد، أو وضع السلاح فهو آمن وحكم بقتل ستة منهم: مقيس بن صبابة، وابن خطل، ومغنيتان كانتا تغنيان بهجائه»اهـ.

وقال -أيضا-[2]: «ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكاية من المحاربة باليد، ومنع دينار جزية في السنة، فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب؟! وأي نسبة لمفسدة منعه ديناراً في السنة إلى مفسدة مجاهرته بسب نبينا أقبح سب على رؤوس الأشهاد؟ بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد إلى مفسدة محاربته بالسب؟ فأولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله ﷺ ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق -سبحانه-، فهذا محض القياس ومقتضى النصوص وإجماع الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلاً.

فإن قيل: فالنبي ﷺ لم يقتل عبد الله بن أبيّ وقد قال: ﴿ يَقُولُون لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[المنافقون:٨]، ولم يقتل ذا الخويصرة التميمي وقد قال له: «اعدل فإنك لم تعدل»، ولم يقتل من قال له: «يقولون: إنك تنهى عن الغي وتستخلي به»، ولم يقتل القائل له: «إنّ هذه القسمة ما أريد بها وجه الله»، ولم يقتل من قال له -لما حكم للزبير بتقديمه في السقي-: «أن كان ابن عمتك»؟! وغير هؤلاء ممن كان يبلغه عنهم أذى له وتنقص؟!

قيل: الحق كان له فله أن يستوفيه وله أن يسقطه، وليس لمن بعده أن يسقط حقه، كما أن الرب -تعالى- له أن يستوفي حقه، وله أن يسقط، وليس لأحد أن يسقط حقه -تعالى- بعد وجوبه.

كيف وقد كان في ترك قتل من ذكرتم وغيرهم مصالح عظيمة في حياته زالت بعد موته من تأليف الناس وعدم تنفيرهم عنه، فإنه لو بلغهم أنه يقتل أصحابه لنفروا، وقد أشار إلى هذا بعينه، وقال لعمر -لما أشار عليه بقتل عبد الله بن أبيّ-: «لا يبلغ الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، ولا ريب أن مصلحة هذا التأليف وجمع القلوب عليه كانت أعظم عنده وأحب إليه من المصلحة الحاصلة بقتل من سبه وآذاه، ولهذا لما ظهرت مصلحة القتل

(١) «زاد المعاد» (٥/ ٦٨).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٤٤١).

وترجحت جداً قتل السّاب؛ كما فعل بكعب ابن الأشرف فإنه جاهر بالعداوة والسب، فكان قتله أرجح من إبقائه، وكذلك قتل ابن خطل، ومقيس، والجاريتين، وأم ولد الأعمى، فَقَتَل للمصلحة الراجحة، وكَفَّ للمصلحة الراجحة، فإذا صار الأمر إلى نوابه وخلفائه لم يكن لهم أن يسقطوا حقه». اهـ

فإذا كانت المقاطعة للمنتجات الدانماركية تؤثر في اقتصادهم وتحملهم على التوقف عن هذا المنكر العظيم فلا ريب في مشروعيّتها انتصاراً لله ورسوله، قال -تعالى-: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية، وقال -تعالى-: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» [أخرجاه من حديث أنس -رضي الله عنه-]، بل حتى من نفس الإنسان لقوله -تعالى-: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٦]، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «لا، حتى من نفسك يا عمر» [أخرجه البخاري]، ولا شكّ أن هذا داخل تحت الدرجتين الأوليين من درجات إنكار المنكر التي تقدَّم ذكرها من كلام ابن القيم -رحمه الله-.

فإن قيل: فإنه قد صدرت فتاوى لأهل العلم في أحداث سابقة لا توجب المقاطعة؟ فالجواب أن يقال: إن إنزال حكم أو فتوى على أحداث مختلفة في ظروف وأزمنة مختلفة هو للتقليد أقرب منه إلى الفقه، وتقدم كلام ابن القيم -رحمه الله- في ترك النبي -عليه الصلاة والسلام- قتل من سبه، وإقامة الحد على آخرين وأنَّ هذا تابع للمصلحة الشرعية.

ثانياً: هناك فرق بين فتوى تنتج عن آراء سياسية أو هي إلى السياسية أقرب من الشرع، وأعني أن تكون بمنظار حزبي لا تراعى فيه المصالح العامة للمسلمين، وإنما يقصد بها تحقيق مصالح حزبية قد تضر بجماعة المسلمين، وبين فتوى تبنى على الأسس والقواعد الشرعية ولا يترتب عليها مفاسد أرجح من المصالح المترتبة عليها، وإلا فإن كانت المفسدة أقل من المصلحة فلا حرج في ارتكابها لتحقيق المصلحة العظمى كما لو

تضرر بعض التجار، فإنَّ هذه مفسدة لا تقارن بمصلحة الإضرار باقتصاد الأعداء بمقاطعة منتجاتهم[1].

ثالثاً: إن المسلم لا بدَّ أن يكون له موقف من هذا المنكر، ولذا لمّا مزّق كسرى كتاب النبي ﷺ دعا عليه أن يمزق الله ملكه، ولو كان قادراً -عليه الصلاة والسلام- على تسيير الجيوش حينئذ إليه لسيّرها وقد أجاب الله دعاءه، كيف والمقاطعة في هذه الحالة لا تضر بجماعة المسلمين حكاماً ومحكومين، بل تزيدهم عزّة وهيبة عند أعدائهم، وهذا من أعظم مقاصد الشريعة؟!

ويستفاد من دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- على كسرى مشروعيّة الدعاء عليهم، وقد أظهر آخر استطلاع أن ٧٦٪ ممن أخذت آراؤهم من الدانماركيين لا يرون أنه يعتذر من هذا المنكر العظيم الذي وقع فيه إعلامهم.

وختاماً؛ فإني أعتقد أن هذه المقاطعة -انتصاراً لنبينا وتعظيما لجنابه- هي من أعظم أسباب دفع عقوبات الله عن المسلمين، قال -تعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فإن الإيمان به ﷺ ومناصرته في حياته وبعد مماته، ولا ريب أن ما يحدث ابتلاء من الله لعباده لينظر كيف يعملون.

وإني أخشى على عقيدة المسلم الذي لا يتخذ موقفاً منهم، كما أن الواجب على المسلمين الذي لا ينفك عنهم بحال أو وقت دون وقت هو التجرد لله بالإخلاص في عبادته وإتباع النبي ﷺ، وإحياء سنته، والدعوة إليها، والموالاة والمعاداة فيها داخل المجتمعات الإسلامية وخصوصاً في أمور العقيدة.

والله أسأل أن يجمع القلوب على الهدى وأن يرد كيد الكافرين في نحورهم، وبالله التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) انظر «إعلام الموقعين» (٣/ ١٣٦).

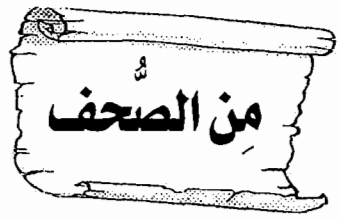

كتب كثيرٌ مِن الصحفيِّين -على اختلاف توجُّهاتهم!- مقالاتٍ متعدِّدَة -في هذا الحَدَث الجلل- اخترنا بعضها:

ظاهرة الإساءة إلى الإسلام

١

• بقلم: طاهر العدوان

ترفض الدنمارك الاعتذار للمسلمين عن الإساءات للنبيّ -عليه الصلاة والسلام- التي نشرت في إحدى الصحف، رغم اتساع موجة الغضب، والتنديد، والاحتجاج التي تصدر كل يوم عن حكومات عربيّة.

ومن المفارقات أنه في نفس نشرة الأحبار المسائيّة لفضائيّة الجزيرة يوم الأحد، كان أحد المسلمين الدنماركيين من أصل عربي يتحدّث عن التمادي في الإساءة إلى النبيّ ﷺ بإشارته إلى صدور كتاب جديد يحوي من الإساءات للإسلام ونبيه، ما يشعل الغضب في صدر كل مسلم، أقول: من المفارقات؛ لأنه في نفس النشرة كان الرئيس الأفغاني يقف مبتسماً إلى جانب رئيس وزراء الدنمارك وهو يختلق الأعذار والمبررات لعدم الاعتذار عن الإساءة للإسلام الصادرة من بلاده.

هذا المشهد المتناقض هو تعبير عن صورة العالم الإسلامي -ومنه العالم العربي- من الداخل، فما الذي يدفع بلداً صغيراً مثل الدنمارك إلى الاستهتار والاستهانة بمشاعر مليار وثلاثمئة مليون مسلم؟

بالطبع هو حالة الضعف والانقسام السائدة بين الدول الإسلاميّة والعربيّة.

إنّ الذي يشجّع صحف ووسائل إعلام في الدنمارك، والنرويج، وهولندا على الإساءة للإسلام هو سكوت حكومات العالم العربي والإسلامي على مثل هذه الإساءات منذ قضيّة سلمان رشدي في بريطانيا، إلى الدوس على المصحف الشريف في مساجد بغداد والفلوجة مِن قبل الجنود الأمريكيين، إلى وضع الكتاب الشريف في مراحيض معتقل غوانتانامو.

ماذا فعل العالم العربي والإسلامي إزاء هذه الإساءات؟ لا شيء، بل إن بعض الحكومات تسابقت لمكافأة إدارة بوش وبلير، ولم نسمع حكومة شجعت مقاطعة المنتجات الأمريكيّة والبريطانيّة.

فسلمان رشدي لا يزال يتمتع بحماية الحكومة البريطانيّة، بينما كتابه الشيطاني لم يسحب من المكتبات، إنّما تُرجم إلى جميع اللغات.

وشكراً للصحافة الأمريكيّة التي فضحت أعمال الإساءة للقرآن الكريم في غوانتانامو؛ لأنّ ذلك أدّى إلى توقف هذه الإساءات.

أمّا البغداديُّون وأهل الفلوجة الذين بُحَّ صوتهم وهم يستصرخون الأمّة وحكوماتها للوقوف ضد انتهاك المساجد من قبل الأمريكيين، وتدنيس المصاحف فإنّ صرختهم ذهبت مع الرياح؛ لأنّ سطوة أمريكا في المنطقة كفيلة بإسكات كل معارض حتى أشدُّهم إيماناً (في الظاهر).

نفهم اليوم سبب هذا الحماس العربي الرسمي لمعاقبة الدنمارك ونؤيّده، وعلينا كجماهير أن نقوم بواجبنا الذي يُمليه علينا ديننا وكرامتنا الوطنيّة، حتى تجبر حكومة الدنمارك على الاعتذار، مع ذلك يجب أن لا نصفق لمثل هذا الحماس الرسمي الذي تظهره الحكومات؛ لأنّ ذلك لا يكفي، فما جرى في الدنمارك جزء من ظاهرة تشجعها حكومات ودول أوروبيّة وأمريكا، ويجب التصدّي لها وبقوّة بعد أن أصبح همُّها الوحيد اختلاق الصراع مع الإسلام ومع العرب بحجّة الإرهاب، بينما واقع الحال أنّ المسلمين والعرب هم أول ضحايا هذا الإرهاب، وهم ضحايا (حروب) أعداء الإرهاب في العراق، وأفغانستان، وفلسطين.

أمّا الإسلام فهو الضحيّة الأولى؛ لأنه يُنتهك ويُلحق به الأذى من ممارسات قوى التطرُّف من الإسلام السياسي، ويُنتهك ويُلحق به الأذى -أيضاً- من أمريكا ومعسكر الغرب الذين يخلطون عمداً بين الإرهاب وبين الإسلام لخدمة مصالحهم وخدمة اليهود.

قضية الدنمارك لا تواجه بمقاطعة (الزبدة والأجبان) فقط، ولكن بوضعها في سياق استمرار السياسات والمناخ الذي يثير العداء والحقد بين مجتمعات الغرب ضد الإسلام ورموزه.

ومن المؤسف أنّ حكومات العالَمين العربي والإسلامي (المضبوعة) والمرتجفة خوفاً من تهمة الإرهاب، التي أصبحت شبيهة بمحاكم التفتيش، أصبح ضعفها وتهاونها حالة مشجعة لتمادي الاعتداء على رموز الإسلام، وإذا لم تتخلَّص من هذا الخوف فإنّ استباحة الإسلام ستقترن باستباحة الأوطان والسيادة والثروات، وهنا ستعم الخسارة ولن ينعم العالم بالسلام والاستقرار.

المسلمون وحّدتهم العقيدة

٢

• بقلم: نزيه الأردني

كل يوم جديد . . . تحقق المقاطعة الإسلاميّة للدنمارك انتصاراً جديداً، نصفه تحت عنوان: «انتصار الأمّة الإسلاميّة لعقيدتها» بعد أن تجرّأت صحيفة فحاولت النيل من نبي هذه الأمّة ورسولها -عليه أفضل الصلاة والسلام-، ذلك أنّ ما أقدمت عليه هذه الصحيفة، والذي تسميه العقول الواعية بالسخف، والغباء، والحقارة، والانحطاط القيميّ، لم تكن أهدافه كما بدت ظاهريّاً، محاولة المساس بشخص الرسول ﷺ، بل جاءت محاولة لسبر غور ردود فعل المسلمين على ما يمكن أن يكون إساءة تطال عقيدتهم، فلا نعتقد أن هناك ركناً في العالم الآن لا يعرف معرفة أكيدة ما هي مكانة الأنبياء عند أصحاب العقائد الإسلاميّة، سواء أكانت إسلاميّة أم نصرانيّة أم يهوديّة، كما أنه ليس هناك ذو وعي غير مصاب بإعاقة لا يدرك تماماً مكانة النبيّ ﷺ في قلوب ووجدان ووعي المسلمين حقاً . . سواء كان هذا العلم تَأَتّى بعد اطلاع وتماسّ مع الثقافة الإسلاميّة . . أو مع ما كان من ردود فعل تجاه أحداث سابقة حاولت المساس مِن شخص الرسول الأعظم ﷺ .

هكذا . . . فإنّ هذا العمل برمّته . . لم يكن محالة غبي . . أو فكرة متخلّف عقليّاً، أراد أن يطرح رسماً . . أو رسومات كاريكاتيريّة عن شخصيّة عالميّة عاديّة، بل إنّ هذا كان أبعد من ذلك . . . فلا يعقل أن تكون هذه الرسومات جاءت عفو الخاطر . . أو عبر لحظة آنيّة، ولكن لا بدّ وأن يكون نتاج تخطيط مسبق . . وفي إطار تصوّر متكامل لما يمكن أن يكون عليه فعل مقصود، له أهداف محددة . . . يسعى إلى تحقيق مقاصد تسعى إلى أن تقول شيئاً، ثمّ التعبير عنه برسومات يدرك من أنجزها . . ثمّ من وافق على نشرها . . ومن تبنّى موقف النشر، يُدرك تماماً الأهداف . . والمقاصد . . والنوايا التي

تحملها . . ألا وهي التطاول على عقيدة سماويّة، ومحاولة تسفيه الركائز الأساسيّة لهذه العقيدة من خلال المساس بشخص الرسول الكريم ﷺ، الذي يؤمن به أتباع هذه العقيدة بصفتِه رسولاً حمل إليهم رسالة السماء بكل الصدق والأمانة، اللتين بثتا الثقة المطلقة برسالته.

إنّ أيّ اعتذار . . مهما كانت صفته . . ومن أين جاء، لن يسقط حقيقة الفكر الشاذ القائم عند هذه الفئة، التي تبنّت الفكرة الأساسيّة التي هدفت إلى المساس بالقدوة الأولى للعقيدة الإسلاميّة، ذلك أن ما كان من رسومات حاولت المساس بهذا الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لم تكن موجهة لغير أتباع هذه العقيدة، فهؤلاء الذين لا يدينون بالعقيدة الإسلاميّة، قد لا تستفزهم مثل هذه الرسومات أو المحاولات الهادفة لتشويه هذه العقيدة، بقدر ما جاءت هذه الرسومات لتتحدّى أتباع العقيدة الإسلاميّة -بالذات من المسلمين كي تختبر ردود فعلهم ضمن معطيات المختبر السياسي الذي يتعامل به الغرب في إدارة علاقاته بالأمّة الإسلاميّة، هذا المختبر الذي إنّما أسس بداية كي يخدم الغايات الاقتصاديّة التي تتمحور تحت عنوان «المصالح»، التي هي العَصَب الأساس في حراك المجتمع الغربي، والذي عليه المعول دائماً في كل أشكال العلاقات.

من هنا . . فإنّ السلاح الذي أشهرته الأمّة الإسلاميّة، ومثّل ردود فعلها التي لم تكن تتوقعه لا الصحيفة . . ولا الدولة . . أو الدول الأخرى التي وقفت إلى جانبها ولأسباب سياسيّة اقتصاديّة -الاتحاد الأوروبي- هذا السلاح مثل المفاجأة . . وكان الأكثر قوّة، وكفاءة، ونجاحاً . . يزداد أثره كل يوم، ومثّل بحق التعبير الأصدق عن مكانة العقيدة في نفوس الأمّة الإسلاميّة، سيكون لهذا الموقف الأثر الإيجابي الأكثر عمقاً . . وستكون المقاطعة الرد الأبعد أثراً، والدرس الأمثل الذي سيجعل الكثيرين يعيدون حساباتهم إذا ما فكروا يوماً التعرض للإسلام عقيدة . . . ولنبي هذه العقيدة ﷺ، ولأي من أدبيّات وفقه ما جاءت به . .

حتى الآن أثبت هذا السلاح -سلاح المقاطعة- نجاحاً وكفاءة . . والدعوة الآن مطلوبة لتنظيم استخدام هذا السلاح على امتداد الأمّة الإسلاميّة بأطيافها كافّة حتى يتحقّق الهدف النبيل الذي نسعى إليه . . احترام عقيدتنا . . وعدم المساس بمشاعرنا، واحترام سيد الأولين والآخرين . . والوعي بأن المساس بها عندنا من المحرَّمات.

الاستهزاء بالنَّبي محمَّدٍ ﷺ ودينه من أعظم موارد الإرهاب!

• بقلم: الدكتور عاصم القريوتي

تناقلت بعض وكالات الأنباء و العديد من المواقع عبر شبكة الإنترنت ما اقترفته الصحيفة الدنمركية: (جيلاندز بوستن Jyllands-Posten) بنشرها (١٢) رسماً كاريكاتيرياً ساخراً يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٢٦هـ الموافق (٢٩ september ٢٠٠٥م) تصوِّر فيه رسول الإسلام محمداً ﷺ في أشكالٍ مختلفةٍ مسيئة ..

وقد أعادت صحيفة (Magazinet) النرويجية في ١٠ يناير ما قامت به الصحيفة الدانماركية، ونشرت ١٢ رسماً ساخراً للرسول محمد ﷺ بدعوى حرية التعبير!!

و تمادت الجريدة في غيِّها عندما طلبت من عموم الرسَّامين التقدم بمثل تلك الرسوم لنشرها على صفحاتها مما زاد الأمر قبحاً وشراً.

وأرى لزاماً عليَّ وعلى كل مسلمٍ أن يقف أمام هذا الهجوم على دين الإسلام ورسول الله نبي الهدى والرحمة - صلوات ربي وسلامه عليه - كلٌّ حسب طاقته ومسؤوليته، ولي مع هذا الحدث الأليم الوقفات التالية :

الوقفة الأولى:

ينبغي أنْ يعلم هؤلاء أنَّ للنبي محمدٍ ﷺ مكانةً عظيمةً في دين الإسلام، وأنَّ وجوب محبته في آياتٍ كثيرةٍ في القرآن الكريم، ومنها قول الله -تعالى- : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

ومنها قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

وإنَّ من أعظمِ مظاهرِ المحبَّةِ للنبي ﷺ وأبرزِ دلالاتِ صدقِها أنها تستلزمُ الذَّبَّ عن سُنَّته، لأنها وحيٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

كما أنّ التَّصَدِّي للمغرِضينَ والمستهزئين والمنافقينَ والمنهزِمِينَ الذين يترصَّدون للسنة النبوية الشريفةِ ويسخرون منه ﷺ من أعظم الواجبات في دين الإسلام .

وإن من تمام النصيحة للنبي ﷺ -كما في حديث تميم الداري -رضي الله عنه- الذي يرويه الإمام مسلمٌ في «صحيحه» أن النبي ﷺ قال: «الدينُ النصيحةُ»، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: «لله ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم»-: الإيمان بنبوَّة ورسالة محمد ﷺ، ونصرته حياً ومميتاً، فمن كان في حياته كان واجباً عليه أن ينصرَه، ومن لم يدرِكْهُ وجب عليه أن ينصرَه، وذلك بالإيمان به ﷺ وباتباع سنَّته وإطاعةِ أوامرِه واجتناب نواهيه.

ومن لوازمِ النصحِ له ﷺ العملُ على نشرِ الشريعة الإسلامية والدعوة إليها وتحكيمها، والتمسُّكِ بآدابها وبما أمرت به ووجِّهت إليه من تعاليم هذين الوحيين كتابَ الله -تعالى- وسنَّةَ نبيه ﷺ، والتحذير من كل ما يسيء إليه وإلى دينه.

ولذا؛ فإنَّ نصر السنة والذب عن النبي ﷺ من تعظيم شعائر الله -تعالى-، ولقد سطَّر أئمتنا الكثير في بيان خطر الاستهزاء بالنبي ﷺ في مؤلفاتهم، وانظر من تلك الكتب الكتاب العظيم لشيخ الإسلام ابن تيمية «الصارم المسلول على شاتم الرسول».

الوقفة الثانية :

أما هذه السخريات والرسومات التي أساءت فيها الجريدتان السابقتان فهي جمعت بين أنواع من الشرور، إذ جمعت بين الاستهزاء بالرسول ﷺ، وبين الافتراءِ

والكذبِ عليه ﷺ، إضافةً إلى احتقار مشاعر المسلمين وأحاسيسهم في تلك الديار، بل وفي كل أقطار الدنيا، إذ نبينا محمدٌ ﷺ أطهر البشرية جمعاء وأزكاها.

و إنَّ هذه السخرية وهذه الرسوم لا تمثل رسول الله محمداً ﷺ بأي حالٍ، لا رسماً ولا دلالةً، إذ إنها لا تعبر عن معالم وجهه المنيرة، والذي يفيض سماحةً وبِشراً وسروراً، كما أنها لا تعبر عن سَمته وخلقه ﷺ.

الوقفة الثالثة:

أين أنتم من الدعاوى البراقة التي تنادي بحقوق الإنسان؟

أليس من حقوق الإنسان عدم السخرية و الاستهزاء بما يعتقده؟

أم أن المسلمين في أنحاء العالم عندكم ليسوا من بني الإنسان؟!

و بالتالي لا تشملهم تلكم الحقوق !

بل انظروا لأنفسكم كيف تعاملون الحيوان؟!! ثم قارنوا بتعاملكم...

أين أنتم من مراعاة مشاعر المسلمين واحترام معتقداتهم؟

الوقفة الرابعة:

إن موقف هاتين الجريدتين المخزي أكبر دعم للإرهاب الدولي المنظم الذي عقدت لمحاربته مؤتمراتٌ ولقاءاتٌ، مع الاختلاف في تحديد مفهومه؛ لأنَّ بعض المسلمين قد لا يستطيع ضبط نفسه مع هذا التحدي السافر للإسلام وأهله؛ وعندئذٍ نتساءل:

أليس بالجدير بأن يدرج من يسلك هذا السبيل ويسخر بدين الإسلام ونبيه ويشجِّع على ذلك الإرهاب بأن تتخذ ضده القرارات الدولية لأنه مغذٍّ للإرهاب ؟

ثم ما دامت الشعارات الدولية تنادي بتجفيف موارد الإرهاب، أليس من مهامها تجفيف كلِّ موارده بأنواعها وأشكالها ؟

ولا شك ولا ريب أن هذا المورد من أشد موارده، وهو أخطر بكثير من الموارد المالية،لأنها من أعظم الدوافع له .

الوقفة الخامسة :

إنَّ ادعاء صحيفة (Jyllands-Posten) حرية التعبير في نشرها لتلك الرسوم الساخرة عن محمدٍ رسول الله ﷺ، ادعاءٌ غير مسلَّمٍ ولا مقنعٍ ؛ لأن منظمات العالم -قاطبةً- تؤكد

على احترام الرسل، وعلى احترام الشرائع السماوية، واحترام الآخرين وعدم الطعن فيهم بلا بيِّنة.

ولذا؛ فإنَّ الحرية المزعومة فيها انتهاكٌ لدين الإسلام، وسخريةٌ برسول الله وإخلالٌ بحقوق الآخرين.

ولهذا؛ فقد استُنكِرَ هذا العمل الشنيع الذي يعدُّ استخفافاً بدين الإسلام الذي يَدين به ملايين المسلمين في أنحاء العالم؛ فقام المسلمون من دولٍ، ومجالس ووزراء، وهيئاتٍ، وجمعياتٍ عدةٍ، وأفراد، باستنكار هذه الحملة الظالمة.

ختاماً:

إننا معشر المسلمين نوجه دعوةً إلى هؤلاء المستهزئين برسول الله محمد -عليه الصلاة والسلام-، وإلى غيرهم من غير المسلمين لأن يمتِّعوا أعينهم وفكرهم بالإطلاع على الحقائق الثابتةِ من خُلُقِهِ وصفاته، من خلال الكتب المؤلّفة في شمائل النبي وصفاته مما كتبه أهل الإسلام، مما هو مسطورٌ في كتب السنة والسيرة، وإن أبيتم فاقرؤوا ما كتبه عددٌ من أهل الإنصاف عن نبيِّ الرحمة والهدى ﷺ من عقلاء البشر ومثقفيهم، حتى من أهل الملل الأخرى ممن شهدوا له بمكارم الأخلاق والفضائل الجمَّة.

وليعلم المستهزئون وأمثالهم أنَّ الله -عز وجل- متكفلٌ بحفظ دينه، وحامٍ لحمى رسالته، ولن تضير نبيه ﷺ سخرية الساخرين واستهزاء المستهزئين، فقد كفاه الله ذلك كله، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الرعد:٩٥].

وقد قال الشيخ العلَّامة ابن سعدي -رحمه الله- في تفسيرها: «وهذا وعدٌ من الله لرسوله ﷺ أنْ لا يضرّه المستهزئون، وأنْ يكفيهم الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل الله تعالى، فإنَّه ما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله ﷺ إلَّا أهلكه الله وقتله شر قتلةٍ».

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُعلي دينه، وأن يرد كيد الكائدين للمسلمين ودينهم في نحورهم، وأن يقيهم من كل شرٍّ.

والحمد لله رب العالمين.

كلمةُ حقٍّ . . .

• بقلم: فضيلة الشيخ زيد المدخلي

جلُّ الناس سمعوا ما حصلَ مِن بعض الدوّل الغربية -النصارى- الدانمارك من الاستهزاء بالنبي ﷺ، النبيّ الكريم الذي أمر اللهُ -عزّ وجلّ- الثقلين، عالَمَ الإنس وعالَمَ الجن أن يقتدوا به ويتبعوه، ومن لم يتبعه ومات على مخالفته وعدم اتباعه فهو في نارِ جهنّم لا يموت فيها ولا يحيا، سواءًا كان من الإنس أو الجن، وسواءًا كان من اليهود أو النصارى أو العرب أو العجم.

كلُّ الأمة بعد بعثته مأمورون باتباعه كما قال القولَ الكريم: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨]، فأما المسلمون الصادقون في إسلامهم، فإنهم لا يرون قيمةً للحياة، إلاّ إذا كان فيها متابعةٌ للنبيّ الكريم ﷺ، وأنّهم يتقرّبون إلى الله بمحبته كما يتقربون إلى الله بمتابعته، قال -عزّوجلّ-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١]، ادّعى قومٌ محبةَ الله عزّوجلّ، غير أنّهم لم يتبعوا الرسولَ الكريم -عليه الصّلاة والسّلام- فامتحنهم الله بهذه الآية، قل يا محمد للذين ادَعَوْا محبة الله ولم يتابعوك على شرعه: إن كنتم تحبون الله حقيقةً وصدقاً ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

فالأمّة المسلمةُ ذكورُها وإناثُها في جميع أقطار المعمورة لا يرون قيمةً للحياة، إلاّ في متابعة الرسول الكريم ﷺ في ما جاء به من الكتاب العزيز والسّنة المطهرة، وبدون ذلك فحياةُ البهائم خير من حياة من لم يتابع النبي -عليه الصّلاة والسّلام- لأنّ البهائم غيرُ مكلفة -، وعالَم الإنس والجن مكلفون، فالمُتّبِعُون لرسول الله على هدى، وفي نور يَحْيَوْنَ في الدنيا في نور وحياة طيبة مباركة،

ويحيون حياةً برزخيةً من نور، ويحيون حياةً أخرويةً من نور؛لأنّهم اتبعوا المرسل من الله -عزّوجلّ- الذي ختم الله به الرسل، وختم برسالته جميعَ الرسالات، وختم بأُمّته جميعَ الأمم، وختم بالكتاب الذي أنزله عليه جميع الكتب المنزلة، فهؤلاء الذين يسخرون من النبي ﷺ بتصويره أو لمزه بأنّه أنجب بناتاً ولم ينجب رجالاً، أو بأنّه تزوّجَ كثيرًا من النساء استجابةً لشهوته، أو أنّه كذا وكذا، فكلامهم هذا وبالٌ عليهم، ويبرأ منه المسلمون والمؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يُسْتَغْرَبُ من أعداء الله، وأعداء الرسل، وأعداء المؤمنين، لا يُسْتَغْرَبُ أن يحصل منهم استهزاءٌ بأفضل الخلق على الإطلاق وهو محمدٌ ﷺ، فنسأل الله أن يرُدَّ كيدهم في نحورهم، وأن يذيقهم العذاب الأليم من جنس عملهم السّيئ الذي أقدموا عليه، والحمد لله أهل الغيرة من المسلمين والمؤمنين وعلى رأسهم العلماء والحكام المسلمون، كلُّهم ردوا على ما حصل من الاستهزاء بالرسول ﷺ من تلك الدولة الكافرة، وتبرؤوا من أفعالهم وقاطعوهم، وستستمر المقاطعات حتى ينتهوا من غيهم، وخير لهم أن يدخلوا في الإسلام، ويتابعوا رسول الإسلام، وإلاّ فنبشرهم بما بشر به رسول الله ﷺ كلّ يهودي ونصراني، حيث قال: «والله لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمّة، يهودي أو نصراني، ثمّ يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار» [خرجه مسلم في «الصحيح»]، وهذه البشارة على طريقة التهكم، وإلاّ فالبشارة الأصل أنّها تكون في الخير، ولكن تستعمل في الشّرّ تهكماً بمن اختاروا لأنفسهم طُرُقَ الشَّر كما قال -عز وجلّ- :﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران : ٢١]، هذا الذي ينبغي أن نعتقده، وأن نقوله حيال هذه القضية التي تفوّه بها ثلةٌ شاذة من دول الغرب وقعوا في عرض رسول الله، والله -تبارك وتعالى- قد قال لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٩٥-٩٦]، سوف يعلمون عاقبة أمرهم وجزائهم الذي سينالونه إن لم يتوبوا إلى الله، ويرجعوا عن الفساد في الأرض، وأكبر الفساد في الأرض بغض الشرع، ومن جاء بالشرع، وهو رسول الله ﷺ، والكفر الأكبر: اتخاذ الآلهة مع الله -تبارك وتعالى- والإعراض عن دينه.

والله أعلم.

شَدُّ الهِمَّة لِنُصْرَةِ نَبِيّ الأُمَّة

• بقلم: فضيلة الشيخ أكرم بن محمد زيادة

كثيرة هي المقالات، والتقارير التي كتبت انتصاراً لنبينا ﷺ إثر الإساءات التي تعرض لها ﷺ بسبب الرسوم الساخرة والاستهزائية.

وكثيرة أيضاً المظاهرات، والمسيرات الهادئة الصاخبة التي انطلقت هنا وهناك، في طول العالم الإسلامي وعرضه، وحتى العالم الغربي انتصاراً وتأييداً لنبينا ﷺ ودينه العظيم.

وكثيرة هي المقابلات، والندوات، والمحاضرات التي عقدت للغرض نفسه، وامتلأت الصحف، والمجلات، ومحطات الإذاعة المرئية والمسموعة، عبر الفضائيات، والشبكات الأرضية ومختلف وسائل الإعلام في التنديد، أو حتى التأييد لمثل هذه الإساءات، ومن مختلف الشخصيات المسؤولة، وأصحاب القرار، أو من عوام الناس، ورعاعهم، ومن مختلف ملل الأرض، وأعراقها، وديانتها الأرضية المشركة، أو السماوية الصحيحة الموحدة (الإسلام) أو المحرفة (اليهودية والنصرانية).

وقد كانت ردات الفعل هذه متسمة بالصدق والعفوية والتعبير الفطري -أحياناً-، أو بتعبير مبالغ فيه تنديداً، وشجباً، واستنكاراً -أحياناً أخرى-، أو تأييداً لأصحابها دفاعاً عن حرية التعبير المزعومة -أحياناً ثالثة-، أو تمييع وضبابية في مواقف الأخرين، بحيث يصعب على المرء معرفة مراد صاحب هذه المواقف -أحياناً رابعةً-.

والذي يهمني في هذه المقالة ـ بعد هذه المقدمة ـ التنبيه على أمور شرعية تتعلق بهذا الحدث الجلل المفجع والأليم، بناءً على مواقف الأطراف الأربعة التي ذكرت في طرفي المعادلة، والتي لم أجد ـ مع الأسف ـ ضمن اطلاعي القاصر ـ على الأقل ـ أحداً

نَبَّهَ عليها، ولا أزعم نفيي لذلك، بل ربما قام البعض به ولم أطلع عليه، فإن كان الأمر كذلك، فإنما هي مساهمة أرجو عند الله ذخرها، وأدعو لمن سبقني بها ـ إن وُجد ـ : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أولاً: حُرمة عِرض نبينا ﷺ ، وعلو شرفه ومكانته مما أثبته الله ـ تعالى ـ في كتبه السابقة للقرآن، كالتوراة والإنجيل والزبور، فضلاً عن ثبوتها نصوصاً قرآنية تُتلى، ويُتَعَبَّدُ بتلاوتها ليل نهار، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله ـ تعالى ـ : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] .

فهي شهادة القرآن، وشهادة ما سبقه من كتب السماء في بيان صفة نبينا ﷺ وفضله، والآيات في ذلك كثيرة عديدة .

ثانياً: حرمة عِرض نبينا ﷺ من حرمة حماية التوحيد في دينه، ومحاربة كافة صور الشرك .. التوحيد الذي بعث به ﷺ لإقامته، والشرك الذي بعث ﷺ لمحاربته، فلا يُعقلُ، ولا يُقبلُ أن يُدافعَ عن عِرض نبينا ﷺ بشرك، ينافي التوحيد الذي أُرْسِلَ هو وسائر النبيين والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ من أجل تحقيقه، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

هذا الشرك الذي تمثَّل برفع شعارات الاستغاثة، أو الاستعانة، بالنبي ﷺ، أو دعائه ﷺ، وهذه من الشركيات المحبطة للأعمال، المبطلة للإيمان؛ كما حذّر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ نبيه ﷺ، والنبيين من قبله خاصة، وحذَّر

الناس ـ من خلالهم ـ عامة بقوله : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولا شك أن الاستغاثة، أو الاستعانة، أو دعاء المخلوق، وإن كان أشرف مخلوق في الأرض والسماء وما بينهما، وأحب مخلوق إلى الله -تعالى- في الأرض والسماء وما بينهما، ألا وهو نبينا ﷺ لا شك أن الاستغاثة أو الاستعانة به ﷺ، أو دعائه ﷺ من دون الله شرك، يحبط العمل ويبطل الإيمان، وهو الذي قال ﷺ منبهاً ومعلماً ومبيناً وزاجراً مَن تلفظ بلفظ يوهم الشرك، فكيف بالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والنداء وهي ألفاظ شركية صريحة؟! بل قال ﷺ: للذي قال له: ما شاء الله وشئت. بقوله:

« أجعلتني لله عدلاً [نداً] ؟! قل: ما شاء الله وحده ».

[أخرجه النسائي في « الكبرى » (١٠٨٢٥) عن ابن عباس -واللفظ له-، وصححه شيخنا الألباني في « تحذير الساجد » (ص: ٩٠)].

ثالثاً: الغفلة والسكوت عن الإساءات التي يتعرض لها نبينا ﷺ ودينه، وحتى التي يتعرض لها الله ربنا -سبحانه وتعالى- بالسب العلني، جهاراً نهاراً، في أسواقنا، ومختلف قطاعاتنا -ومِن أطراف كثيرة، وكثيرة جدّاً-، وحتى الأطفال، والمعلمين والمعلمات في المدارس والبيوت، بل ووسائل النقل العامة في مختلف أقطار العالم العربي -الذي نفهم لغته على الأقل - كل ذلك يضعنا في دائرة المسؤولية، والحرص على التغيير، لأن الله - تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وبخاصّةٍ أنَّ تغيير واقعنا السَّيِّئ أولى من تغيير واقع غيرنا، وتنظيف بيوتنا، ومجتمعاتنا من هذا النجس الخبيث أولى من تنظيف أفنية الغربيين، والشرقيين وغيرهم ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

رابعاً: الاستهزاء والسخرية بسنة نبينا ﷺ وهَدْيِهِ وسَمْتِهِ، في مختلف فعاليات مجتمعنا المسلم المحافظ -بحمد الله-، وذلك مِن خلال بعض التعميمات والتعليمات في تجنب مثل هذه السنن والهدي الظاهر، ومضايقة أصحابها، والمتمسكين بها حتى في لقمة عيشهم أحياناً، والضغط عليهم نفسياً ومادياً، والاستمرار والتمادي بكثير من مظاهرها ؛ من استهزاء باللحى، والعمائم، والثياب، وجلابيب وَخُمُرِ النساء المحجبات، وغير ذلك من مظاهر سنة وهدي نبينا ﷺ.

كل ذلك منافٍ كلَّ المنافاة للانتصار المزعوم لنبينا ﷺ، ويخشى على أصحابها

النفاق، الذي هو أشد عُقوبَةً عند الله -تعالى- من الكفر، والشرك، حيث قال -في حق المنافقين-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

نقل ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٨٣) عن جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين كابن عمر، وعكرمة، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومحمد ابن كعب القرظي وغيرهم، أنها نزلت في مَنْ استهزأ بالمؤمنين، وخلاصة ذلك:

«أن رجالاً من المنافقين قالوا: ما نرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء، فرُفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء بعضهم إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب، فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾، وإن رجليه لتنسفان الحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنسعة رسول الله ﷺ.

وفي رواية أن النبي ﷺ قال لعمار بن ياسر: «أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا». انتهى مختصراً.

خامساً: الانتصار للنبي ﷺ لا يكون بوسائل الكفار والمشركين الذين أُمِرْنَا، وتُعُبِّدْنا بمخالفة سبيلهم، من مظاهرات، ومسيرات، وحرق وتدمير للسيارات والسفارات والممتلكات العامة والخاصة، والتي ندفع ثمنها بعد ذلك من أموال الضرائب التي تستقطع من قوت أبنائنا، ولا برفع صور قادة الأحزاب والجماعات وغيرهم، ولا بكتابة الشعارات على الجدران، أو لصقها على السيارات! إنما يكون بما وَجَّهَ الله به نبيه ﷺ إليه في أمثالهم من المستهزئين الساخرين بقوله -سبحانه-: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٩].

فهذا هو التوجيه الرباني، والواجب الشرعي للانتصار لنبينا ﷺ، بالإقبال على الله تعالى تسبيحاً وتحميداً وسجوداً، وعبادة، تُرضي الله -تعالى- وتستدر نصره وتأييده لأمتنا المستضعفة المهانة، والعودة إلى ديننا

الحنيف، بأخلاقه، ومعاملاته، وعباداته، المندرجة تحت سنة نبينا ﷺ الذي نصره الله عندما تخلى عنه سائر الناس .

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]

وبعودتنا جميعاً -حكاماً ومحكومين- إلى ديننا العظيم، والذي فرطنا فيه، هذا التفريط المتمثل بقوله ﷺ:

«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» . [(صحيح)، رواه أبو داود (٣٤٦٢)، عن ابن عمر، وصحّحه شيخنا في «الصحيحة» (١١)].

فنصرة نبينا ﷺ واجبة ..

ونصرة ديننا واجبة ..

وإعراضنا عن المشركين الجاهلين واجب .. وهو غيظ لهم، ورد لكيدهم في نحورهم .

وطاعتنا لأئمتنا وولاة أمورنا بكف الأذى وضبط النفس واجب ..

وقيام أئمتنا وولاة أمورنا بنصرة نبيهم، وردّ أذى المشركين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد الذين يملكون -وحدهم- رفع رايته واجب عليهم .

* فشد الهمة لحماية التوحيد من صور الشرك واجب الجميع .

* وشد الهمة لحماية السنة والهدي النبوي واجب الجميع .

* وشد الهمة لحماية الأصول الثلاثة؛ الرب، والنبي ﷺ، والدين، مِن السب والشتم، والأذى ممن ينتسبون للإسلام ومن الذين يعادونه ويكفرون به واجب الجميع .

* وشد الهمة للعودة إلى الدين ؛ عبادة، ومعاملة، وخلقاً، وجهاداً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر واجب الجميع .

والحمد لله رب العالمين.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

...ليس مِن النُّصرة!

• بقلم: سامي بن عبدالعزيز

إن مما يبعث السرور في النفس ما نراه في حملة نصرة النبي ﷺ من تفاعل كبير، وزخم عاطفي ضخم، وحِراك في مجتمعات المسلمين؛ كل ذلك وأكثر منه قليل في جانب نصرة نبينا ﷺ، ولكن ليس من النصرة في شيء بعض المظاهر المصاحبة لذلك، والتي منها:

أولاً: أن يتسابق الناس في نشر رؤى منسوبة إلى مجاهيل تبشِّر الأمة أن نبيها ﷺ راضٍ عنها فيما عملت من نصرةٍ وذبٍّ عن عرضه، ولئن كانت الرؤى الصالحة من مبشرات النبوة التي بقيت للأمة، فإن ذلك لا يعفينا من ضرورة التثبت فيما يرويه الناس من ذلك، والتي غالباً ما يكون منسوباً إلى مجهول، أو مما يتزيّد فيه الرواة، فما آفة الأخبار إلا رُواتها، وقد يكون ما رآه صاحب الرؤيا من حديث النفس، فيخيل إليه أنه رأى النبي ﷺ في منامه.

وأما حديث «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي» فالمراد: من رآني على صفتي التي أنا عليها، وليس المراد أن كل ما يُخيل للنائم في منامه أنه يرى رسول الله ﷺ فهو كذلك! ثم إن لدينا من نصوص الكتاب والسنة المبشِّرة بخير موعودٍ لمن ذب عن عرضه ﷺ، ونصرَ سنتَه: ما يغنينا ويشفي نفوسنا ويحدو أرواحنا للاستباق لهذا الشرف العظيم، فحسبنا أن نحث الناس على نصرة نبيهم وسنته بتلك النصوص المبثوثة في الكتاب والسنة الصحيحة.

ثانياً: أن يتسابق الغيورون على عرض المصطفى ﷺ على نشر أخبار غير موثقة، مثل المجازفة بذكر أرقام مبالغ فيها لخسائر

المقاطعة، ومنها ما أُشيع بين الناس هذه الأيام من أن أحد الرسامين الذين صوَّروا النبي ﷺ في رسوم ساخرة قد وُجد جثةً محترقة بجوار الصحيفة الناشرة لتلك الرسوم، وأن وسائل الإعلام في الدانمارك قد تكتّمت على الخبر خوف الفضيحة! وليت المسارعين في نشر هذه الشائعة تساءلوا قبل نشرها: إذا كانت وسائل الإعلام هنالك قد تكتّمت على نشر الخبر، فأنى لهم العلم به؟!!

ومَن هذا الذي عَلِمَه فأذاعه في الناس حتى بلغنا؟!

إن حث المسلمين على نصرة نبيهم وإفراحَهم بما يأملونه من ثمار حملتهم على الساخرين بحبيبهم ﷺ عمل مشروع ولا شك، بيد أنه لا يجوز أن يكون بالكذب، ولا بترك التثبت والتبين في رواية الغرائب من الأخبار، وإن ما يعتمل في صدورنا من لواعج الغيرة على النبي الكريم ﷺ لا ينبغي أن يدفعنا إلى أن نُفرِط في رواية الأخبار دون تثبت واستيثاق، ولا إلى أن نتخلى عن المنهج الشرعي في تلقي الأخبار وبثّها، فحسن المقصد لا يشفع لشيء من هذا مطلقاً.

ثالثاً: ليس من النصرة في شيء مبادأة أحدٍ بالاعتداء وتحريضه على معركة الطرفان فيها خاسران؛ فالإساءَة إلى صحف ومجلات لم تصدر منها بنبينا ﷺ سخريةٌ: عملٌ لا يكشف شبهة ولا يذبّ عن عرضٍ، وإنما يُحرضها هي الأخرى على سب الرسول ﷺ والنيل منه، وينقلها من حِيادها إلى مصافّة المعتدي في موقفه، ويحرض سفهاءهم على الإساءة إلينا، وإلى مُقَدَّراتنا، والتي خسارتنا فيها أعظم من خسارتهم في صحفهم ومنتدياتهم.

لقد نهانا القرآن أن نعتدي في الاقتصاص من المعتدي، فكيف بابتداء الاعتداء؟! لا شك أنه أقبح وأولى بالنهي...

نذكِّر بهذا الحكم المتقرر في عقل كل مسلم ونحن نرى -مثلاً- معركة إلكترونية على شبكة الانترنت ابتدأها بعض الغيورين -هداهم الله- باستهداف بعض الصحف الدانمركية بالاختراق والتدمير، وفي هذا العمل المشين عدة ملحوظات:

١ـ أنه اعتداء على مَن لم يقع منه اعتداءٌ، وفي هذا مخالفة لآداب القرآن، لا يشفع لها قدْرُ ما بلغه حب الحبيب ﷺ في قلوبنا.

٢ـ أن هذا الفعل بمثابة الشاهد الذي يُثبت التهمة في أَتْباع النبي ﷺ من أنهم همج إرهابيون مفسدون لا يعرفون إلا الإفساد والتدمير.

٣ـ أن اللجوء إلى هذه المواجهة البعيدة عن التعقل وأسلوب المحاجة بالحجة

والبرهان قد يوهم العدو وغيرَه ممن هو على ملته ولم يرتكب خطيئته أننا لا نملك في الدفاع عن شخصية نبينا ﷺ حجةً ولا برهاناً تبرِّئه مما هو متّهم به في أنظارهم.

٤ـ كان من الممكن تحييدُ هذه الصحف التي قُصدت بالاختراق والتدمير، وجعلُها وسيلة ضغط على الصحيفة الناشرة للرسوم الساخرة لإلجائها إلى الاعتذار حمايةً لاقتصادهم من آثار حملة المقاطعة.

فإذا نحن وسّعنا دائرة المواجهة لوسائل الاعلام الدانمركي كلها -من غير تفريق بين الفاعل والغافل- فإن ما نبغيه منهم يصبح أملاً بعيداً، كان لأيدينا إسهام في ذلك ولو بطريق غير مباشر.

٥ـ كون العدو يسفل ويتواقح في عداوته وكراهيته لنا لا يجعلنا في حِل أن نسفل سفولَه، ولا أن نتخلى عما يليق بنا وما عرف عنا من التزام لمنهج العدل وتحَلٍّ بالأخلاق الفاضلة في كل شِعابها.

إن اللجوء إلى هذه الأساليب في المواجهة أمر يستطيعه كلُّ أحد، وقد يكون أقدر الناس عليه مَن هو أضعفهم في الحجة والبرهان.

٦ـ لا يصح أن يقاس اختراق مواقع صحفهم الالكترونية التي لم تقع منها سخرية ولا استهزاء بنبينا ﷺ على حملة المقاطعة لسلعهم كلِّها، مع أننا نقاطع شركات لم يقع منها من ذلك شيءٌ، وهو قياس فاسد؛ لأن المقاطعة الاقتصادية ليس فيها اعتداء، وغاية ما فيها أنها تمنّعٌ عن الشراء، وهذا ليس من الاعتداء في شيء، بخلاف اختراقِ المواقع وتدميرها، فهو اعتداء صريح لمن لم يقع منه اعتداء.

رابعاً: ليس من النصرة في شيء أن نجود بأموالنا لكل من يدعونا إلى مشروع دعوي في تعريف الكفار بالإسلام وبنبيه الكريم وفي كشف ما يثار حوله من شبهات من غير أن نتوثق من صاحب المشروع، والجهة المشرفة عليه، ومن غير أن نتبيَّن المضمونَ المراد نشره، ومن يزكي ذلك من أهل العلم.

وإن من التفريط والسذاجة أن نحوِّل صدقاتنا إلى جهات مجهولة تزعم النصرة، وهي في الحقيقة تستأكل بها وتستغل حمْلَتها.

ولكي نقطع الطريق على كل طامع يستغل عاطفة الناس في هذا الباب ويستدرُّ أموالهم باستغلال عاطفتهم فإن علينا ألا نضع صدقاتنا إلا في أيدي شخصياتٍ معروفةٍ مزكَّاة.

والله الهادي لأقوم طريق.

والله ناصرٌ رسولَه رُغم أُنوف المستهزئين

• سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ على فترة من الرسل بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بعثه للناس كافة: عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، كما قال -سبحانه-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٠]، وقال-تعالى-: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وأنزل عليه خير كتبه؛ القرآن الكريم، الذي هو معجزته الخالدة، كما قال -تعالى-: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وتعهَّد الله بحفظه من أن تمسه يد التغيير والتبديل، حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ليبقى مشعلاً مضيئاً تستهدي به البشرية في مسيرتها الدائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال -سبحانه-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى: ٥٢].

وجعل اتِّباع نبيه محمداً ﷺ والتمسك بسنته موجباً لمحبته -سبحانه-، قال -تعالى-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقرن طاعته بطاعته في الكثير من الآيات؛ كقوله -سبحانه-: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:

٨٠]، وقوله:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [النساء: ١٣]، وقوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩]، وغيرها من الآيات.

وأوجب محبته على الخلق، كما قال- تعالى-: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ [التوبة: ٢٤]، وكما في الحديث الصحيح من قول عمر -رضي الله عنه-: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك». قال: فأنت -والله- يا رسول الله أحب إليَّ من نفسي. قال: «الآن يا عمر». وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». [متفق عليه]

وبمناسبة ما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة من إقدام بعض الحاقدين على الإسلام ونبي الإسلام -عليه الصلاة والسلام- على نشر صور وقحة وتعليقات قبيحة مصاحبة لها في إحدى الصحف الصادرة في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك زعم ناشروها أنها تمثل الرسول الكريم محمداً ﷺ، وهي صور وتعليقات لا توجد إلا في مخيلة مروِّجيها ممن أكل الحقد والكراهية للإسلام ونبي الإسلام قلوب دعاتها.

ومعلوم أن أنبياء الله ورسله هم خير البشر، وهم الذين اختارهم الله لحمل رسالاته وإبلاغها لعامة الخلق، فواجب الخلق تجاههم الإيمان بهم، ونصرتهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، وقبول ما جاؤوا به من عند الله. قال -تعالى-: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد أخبر -سبحانه- أن رسله منصورون بنصره، فقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

وإننا إذ نستنكر هذا البهتان العظيم الموجه لنبي الإسلام وخاتم النبيين -عليه الصَّلاة والسَّلام- لعلى يقين بأن الله -سبحانه- ناصرٌ لنبيه، وخاذلٌ لأعدائه، كما قال -سبحانه-: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا

تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]، وقال -سبحانه-: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال -سبحانه-: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣]، ووعده سبحانه حق، وقوله الصدق.

ومعلوم أن سبَّ الرسول والاستهزاء به انتهاك لحرمته، وتنقيص لقدره، وإيذاء لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، وتشجيع للنفوس الكافرة والمنافقة على اصطلام أمر الإسلام، وطلب إذلال النفوس المؤمنة، وإزالة عز الدين، وإسفال كلمة الله، وهذا من أبلغ السعي فساداً.

وقد أخبرنا الله سبحانه أن أعداءه سيواصلون شرَّهم وأذاهم، وأمرنا بالصبر والمصابرة، فقال -تعالى-: ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ويجب على كل مسلم نصرة رسول الله ﷺ وتعزيره وتوقيره، كما قال -تعالى-: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩]. وتعزيره: يشمل نصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

ونظراً لما أثاره هذا الهجوم الوقح على نبي الإسلام - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.- من ألم واستياء وأذى لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فإنني أدعو المسؤولين في حكومة الدانمارك بأن تحاسب الصحيفة التي نشرت هذه الرسوم، وتلزمها بالاعتذار عن جريمتها النكراء، وتوقع الجزاء الرادع على من شارك في إثارة هذا الموضوع، فهذا أقل ما يطالب به المسلمون.

نسأل الله جلَّت قدرته أن يحفظ نبيه ورسوله محمداً ﷺ من كيد الكائدين، وعدوان المعتدين، وظلم الظالمين، كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته؛ إنه على كل شيء قدير.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصايا شرعيّة

لنصرة خير البريّة(*)

• بقلم: نجلاء الصالح

من خلال حملة إعلامية محمومة شعواء، على أزكى البشرية وخير البرية نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، نشرت جريدة (إيلاندز بوسطن) الدانمركية، إعلاناً عن مسابقة لرسم أحسن كاريكاتير، للرسول محمد ﷺ!

وتحت مسمَّى -حرية التعبير- في محاولة لتشويه سيرته والنيل منه، ومن أمته حقداً وحسداً.

هذه الحملة آذت قلب كل مؤمن محب لله -تعالى-، ولرسول الله ﷺ . . . آذت قلب كل مسلم غيور على دينه، وعقيدته.

فرسولنا محمد ﷺ أحبُّ إلينا من كل حبيب . . . وأعزّ علينا من كل قريب بعد الله -تبارك وتعالى-.

ولقد أرسل قرّاءُ تلك الجريدة أكثر من مائة صورة... نشرت تباعا منذ (٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٥م)، على مدى عدّة أسابيع، وبمعرفة وموافقة، بل وبتأييد من الحكومة، والرأي العام الدانمركي، فكانت رسوماً شنيعة، وصوراً قبيحة، وصفوه ﷺ بأقبح الصفات فأساؤوا لمشاعر المسلمين في شتى بقاع الأرض. . . شلَّت أيديهم وجزاهم الله بما يستحقون.

وحريٌّ بنا -نحن المسلمين-، وكلٌّ من امتنَّ الله عليه بنور الهداية وحمل أمانة هذا الدين، أن يغضب لله -تعالى-، وينتصر لرسوله ﷺ ... «اللهم إنا نعتذر إليك على تقصيرنا، وإسرافنا في أمرنا. تكالبت علينا الأمم حتى تجرأت على النيل ممن تهون دونه أرواحنا، وأبناؤنا، وأموالنا، وأهلونا».

(*) بعض محاضرة نسائية ألقيت بقاعة المحاضرات بـ(مركز الإمام الألباني) -رحمه الله تعالى-، يوم السبت ١٤٢٧/١/٥هـ - ٢٠٠٦/٢/٤م.

الله أكبر ... كم نحن بحاجة إلى أن نثوب إلى رشدنا، وأن نراجع أنفسنا؟! ... كم نحن بحاجة إلى أن نتأدب مع ربنا -تبارك وتعالى-، ومع نبينا ﷺ قبل أن نطلب ذلك من غيرنا، وأكرر : قبل أن نطلب ذلك من غيرنا؟!

أليس من بيننا -نحن المسلمين- من يسمَّون بشهادة الميلاد مسلمين، يعتقدون بعقائد العلمانية، والاشتراكيّة، والفرق الضالَّة، ويبثون بذورها جهرة وخفية؟!

ألا تطلق النكات على الله -تبارك وتعالى-، و ملائكته، وعلى رسوله ﷺ، وعلى صحبه الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين-، من خلال بعض الهواتف النقَّالَة، وشبكات (الإنترنت)، وغيرها من وسائل الإعلام، وبأيدي المسلمين في عقر ديار المسلمين ؟! . ألا يُستهزأ بالملتزمين؟! ألا يُوصَفون بأقذع الصفات حتى من المقربين؟!

لتكن ردود الفعل على ما حدث إيجابية، وليس فقط مجرد مظاهرات، واحتجاجات، وشعارات، وخطب، وجمل حماسية، يتغنى أصحابها بذكر النبي ﷺ ومناقبه، والماضي العريق للمسلمين، دون التأثر بماض أو حاضر، ودون أخذ العبرة منه.

وقد يكون لسان حال أكثرهم ومقالهم بعيداً كل البعد عن منهج من يدافعون عنه، أو يحتجَّون لأجله، نبينا وحبيبنا محمد ﷺ.

لتكن لنا بعد هذا الحدث وقفات، بل منارات على الطريق نراجع فيها أنفسنا، لنكون على بيِّنة من أمرنا، أوجزها فيما يلي :

١) الإيمان بالله -تبارك وتعالى-، وذلك بكمال توحيده ونبذ الشرك عنه -صغيره وكبيره-، وخشيته -سبحانه- في الغيب والشهادة، وحسن التوكل عليه، واليقين بما عنده، وما أعدّه لعباده الصالحين من نصرة وتمكين.

ليكن لنا في الإعراض عنهم، ومقاطعة بضائعهم قربة نتقرب بها إلى الله -تبارك وتعالى- لا نخشى إلا الله -تعالى-، بلا رياء ولا سمعة، ولا لأجل عصبية، أو حزبية، أو طائفية، لا نخشى من ذي العرش إقلالاً، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال الله -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] .

وعن أبي أُمامة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «من أحب لله، وأبغض

لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» [«الصحيحة» (٣٨٠)]

وروى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ، حين قال له الناس: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ » انتهى . ذلك لعلمهم بأن الله يدافع عن الذين آمنوا وأن الله لا يحب كل خوَّان كفور.

٢) تعزيز محبة الله -تبارك وتعالى-، ورسوله ﷺ، وترسيخها في النفوس، وبخاصّةٍ في نفوس الأبناء وذلك بذكر مناقبه، والتأدب بآدابه، والعمل بهديه، وتقديم محبته على كل محبة بعد الله -تبارك وتعالى-.

ففي «الصحيحين» عن أنس -رضي الله عنه-، قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار» [متفق عليه].

وعنه -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين» [متفق عليه].

قال ابن بطَّال والقاضي عِياض -رحمهما الله -تعالى-: «المحبة على ثلاثة أقسام: محبة إجلال وتعظيم، كمحبة الولد للوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الوالد للولد، ومحبة مشاكلة واستحسان، كمحبة سائر الناس»، انتهى. أي: كمحبة «الأهل، والأقارب، والأزواج، والأصدقاء».

إذ إنَّ صدق المحبة يتجلَّى في طاعة الله -تبارك وتعالى-، وحسن الاتباع لرسول الله ﷺ، وإحياء السنن المتروكة، وإماتة البدع . قال الله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران ٣١ـ ٣٢].

وعلى ذلك؛ فإن الدفاع عنه ﷺ، وعن شرعه الذي جاء به، والحفاظ على سمعة الإسلام، ناصعة نقية، وكذلك سمعة النبي ﷺ، واجب ومسؤولية كل أحدٍ من المسلمين.

٣- أن يكون ما حدث حافزاً قوياً للتغيير، تغيير إلى الأفضل، إلى العمل بكتاب الله -تبارك وتعالى-، وما جاءنا عن رسول الله ﷺ، على فهم سلفنا الصالح ... على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم-، فهم الفرقة الناجية الذين فتحوا البلاد وقلوب العباد، سارعوا بالتوبة، والإنابة، والتقرب إلى الله -تعالى- بالطاعات، والمسابقة إلى الخيرات، فمكّن الله لهم دينهم الذي ارتضى لهم.

قال الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال ٥٣].

وقال الله -تعالى-: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد ١١].

٤- أن نضع نصب أعيننا هدفاً نسعى إليه، ألا وهو حفظ أمانة هذا الدين، واستشعار عظم الأمانة الملقاة على عاتق كافة المسلمين، كلٌّ من موقعه، نبدأ بأنفسنا، نبدأ من الداخل، لا يهمنا -فقط- خسائر الكفار!! لا يهمنا -فقط- اعتذارهم !! بقدر ما يهمنا عودة المسلمين إلى دينهم، وتطبيق شرعهم، ونصرة رسولهم ﷺ، واتّباعهم له، حتى في أقلّ شؤون حياتهم.

إن نصرة رسول الله ﷺ لا تكون بالتقتيل والتدمير والفوضى، وإنما بتطبيق شرعه، وطاعة أمره.

٥- تعميق قاعدة الولاء والبراء في النفوس، وغرس المبادئ الأخلاقية النابعة من الشرع الحكيم في الأبناء، والتأدب بآدابه، والاعتزاز بالانتماء إليه، وذلك بتنمية الشعور بشخصية المسلم المتميزة، والحفاظ عليها بثقة، وإرادة، وعزيمة، فلا ولاء لأفراد، ولا لجماعات، ولا لعصبية، ولا لقبلية ....

لا ولاء إلا لله وحده، ولرسوله ﷺ .... لا ولاء إلا للإسلام، فإن فيه القوة، والمَنعة، والرفعة، والسيادة، والسَّعادة في الدنيا والآخرة.

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريّ: يا للأنصار، وقال المهاجرين: يا للمهاجرين،

فقال: رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة».

«دعوها فإنها منتنة»، ما أعظمها من وصية! ليت الجماعات، والأحزاب، والتنظيمات يدركون عظمتها !! فإن الأمّة ما آلت إلى ما آلت إليه إلا بسبب الفُرقة، والتناحر، والتدابر الذي أضعفها، فتجرَّأ أعداءَها عليها.

٦- عدم الافتتان بأمة الكفر من شرق وغرب، أو تعلُّق القلب بحضارتهم، أو الهجرة إليهم، إذ إن الهجرة الحقيقية هي ترك المسلم بلاد الكفر فارًّا بدينه إلى بلاد الإسلام، عن جرير -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقام مع المشركين، فقد برئت منه الذمة». [«الإرواء» ١٢٠٧]

وفي رواية: «أنا بريء مِن كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين». [«صحيح أبي داود» (٢٦٤٥)]

وينبغي على ولاة الأمور -مِن العلماء والأمراء- بيان زيفهم وما يمكرون، والتحذير من الإغراءات التي يُخدع بها الكثيرون.

ولْنمعن النظر بقول أحد إخواننا المقيمين في الدانمارك من خلال التلفاز، -والذي تقدَّم آنفاً- : «لقد أدركنا مدى التهميش الذي يعيشه المسلمون في الغرب»، أي: أنهم على الهامش، لا يؤبه لهم!! ألا اليت قومي يعتبرون!!

٧- الحرص على التربية الإيمانية للأبناء، وتحصينهم ضد الأفكار المستوردة، والعقائد الفاسدة ، من أعداء المسلمين وما يبثُّونه من شهوات وشبهات، خشية ميل القلب إليهم، والتشبُّه بهم، كما هو واقع الكثيرين في أيامنا، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» [«الإرواء» ١٢٦٩].

٨- الحرص على طلب الفقه، ومعرفة العلم الشرعي المصفَّى من الشركيَّات والبدع، والحرص على الأدلة، والأحاديث الصحيحة، وهذا يتطلب الالتفاف حول العلماء العاملين، في دروسهم وحِلَقِ ذكرهم، واستشارتهم خاصة عند الابتلاءات والفتن، فإنهم «أعرف الناس بالحق، وأرأفهم بالخلق»؛ وذلك لأخذ الحيطة والحذر من ردود فعل عكسية عشوائية قد تجرُّ الأمّة إلى ما لا تحمد عقباه من الويلات والفتن، وإلى المزيد من المخاطر والوهن، والعياذ بالله.

عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه،

قليل خطباؤه، قليل سؤّاله، كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤُّاله، قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل».

٩- الحرص على التواصل مع المسلمين عرباً وعجماً في بلاد الغربة، والاستفادة من معرفتهم باللغات الأجنبية، والحرص على تعلمها؛ لنشر دعوة السلف المباركة، والتعريف بها، وترجمتها؛ لأن كثيراً من الأجانب قد لا يعرفون عن الإسلام الصحيح، وجمال الإسلام، ولا عن مكانة وقدر رسولنا ﷺ في قلوب المسلمين، لا يعرفون إلا ما تبثه وسائل الإعلام المعادية وما يروِّجونه عن الإسلام، ويشوِّهون سمعة المسلمين.

١٠- الحذر من كثرة الذنوب والمعاصي، والركون إلى الدنيا وشهواتها وملذاتها، إذ إن من مخططات أعداء الدين، إغراق أهله في المعاصي والمحرمات، واستعبادهم بالانغماس في الشهوات؛ لأنها أشدّ تأثيراً في صدِّ النّاس، وإبعادهم عن المنهج الرباني الذي يخشونه، كما أنها سبب من أسباب القحط، والجور، وتكالب الأعداء، وغضب ربّ الأرض والسماء.

عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «حبُّ الدّنيا وكراهية الموت». [«الصحيحة» (٩٥٨)].

١١- الصلاة والدعاء والتضرع واللجوء إلى الله؛ قال -تعالى-: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٥-٩٩] : فعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: «كان إذا حزبه أمرٌ صلّى» [«صحيح الجامع» (٤٧٠٣)].

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى أن تعزّ الإسلام والمسلمين، وتذلَّ الشرك والمشركين، وأن تُعْلِيَ بفضلك وكرمك كلمتي الحق والدين.

اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم آمين.

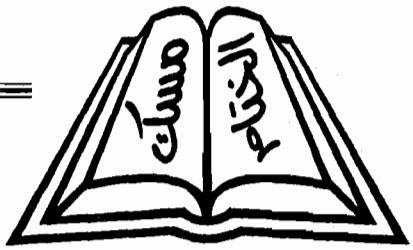

• بقلم: أسرة التحرير

بين المساجد والمراقد!!

لعلَّ تاريخَ الخلافِ (الإسلاميِّ - الإسلاميِّ) -قديماً وحديثاً- لم يشهدْ عمليّاتِ اعتداء، وتدنيس، وتدمير لمساجدَ ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ كمثل تلكم العمليّات الدنيئةِ المُجرمةِ الجبانةِ القبيحةِ التي شهدتها مدنٌ عدّةٌ في العراق -قبل أيّام قلائل- تحت حمايةِ حِرَاب الاحتلال الأمريكي!!

إنَّ القلبَ لَيَحْزنُ، وإنَّ العينَ لتدمعُ لِمَا نرى ونسمعُ عن هذه العمليَّاتِ الانتقاميَّةِ الوقحةِ التي لا يُقرُّها عقلٌ، ولا شرعٌ، ولا قانون، ولا خُلُقٌ، ولا عُرْف...

نعم؛ إنَّ تدميرَ مراقدَ شيعيّةٍ تاريخيَّةٍ -واحداً أو أكثر- في ظلالِ الحُكم الشيعي العراقي الحاليِّ: فعلٌ قبيحٌ جدّاً؛ لِمَا يَنْبَني عليه من تَثْوير، وإثارة، وفِتَن، وَتَهْييج: له عَقَباتُهُ وعقابيلُهُ -مَعَ التوكيد الشرعيِّ على أنَّ مَراقدَ الموتى مقرُّها مقابرُ المسلمين، لا بيوت رَبِّ العالَمين -كائناً من كان الدَّفين!- ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]...

إنَّ هذا الانتقامَ الشرسَ البشعَ -بإفساد المساجد- لَيَدُلُّ دِلالةً قطعيَّةً لا تلجْلُجَ فيها على جهل أولئك الفاعلين

بعقيدة الإسلام، وحِقدهم على مساجد الإسلام، وبَغْيِهم على أهل الإسلام، وتواطُئِهم على الإفساد لشرائع وشعائر الإسلام . . . ولو أنَّ ذلك كُلَّه -فوا أسفاه- يُطَبَّقُ باسمِ الإسلام!!!

وإنَّ العَجَبَ لَيَتفاقمُ -جدًّا- عندما تحدثُ هذه الفواقرُ المُرَّةُ في أجواءِ الغَضْبَةِ الإسلاميّةِ العارمةِ العامَّةِ التي شمِلَت العالَمَ كُلَّه -مِن أقصاه إلى أدناه- نُصْرَةً لرسولِ الله ﷺ، والعقيدةِ فيه -اعتقاداً خالصاً، وانتصاراً حقًّا-؛ ردًّا على أولئك السَّفَهةِ الظَّلَمةِ الذين فقدوا أدنى مُقوِّمات الفكر الصحيح، وأقلَّ مُسوِّغات النَّظَر الصَّريح: فواقعوا الباطلَ الشنيعَ القبيح: باستهزائِهم برسولِ الله ﷺ، وذلك برسمِهِ بصورةٍ هزليَّةٍ يترفَّعُ عنها أقلُّ أسوياءِ البَشَر، فضلاً عن ساداتهم، فضلاً عن «سيِّد وَلَدِ آدمَ» -أجمعين- عليه أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم-.

لقد حوَّل أولئك المُحَطِّمون للمساجدِ -بيوت الله- أنظارَ العالَمِ عن فعل أولئك السُّفهاء المستهزئين: إلى عَمَلِهم هذا المشين، بل إنَّهم أَعْطَوْهم ذريعةً سهلةً يُسوِّغون من خِلالها فِعْلَهم -ذاك-، ويستسهلونه: بِحُجَّةِ أنَّ المسلمين (!) فعلوا فيما بينهم ما يكادُ أنْ لا يَقِلَّ عن فِعل غير المسلمين بهم!!!

وكلمةُ حَقٍّ يجب أنْ تُقال:

مهما وَصَلَ الحِقدُ المذهبيُّ (التاريخيُّ) في النُّفوس المريضةِ، والعقول البغيضةِ إلى أعلى (!) الدرجات، وأشدِّ التأثُّرات والتأثيرات: فإنَّ تعدِّيَه إلى مساجدِ الله، ووصُولَه إلى حُرُمات الله: لَيُقنِعُ المراقبَ أنَّ هذا الأمرَ الإدَّ -في حالهِ ومآلِهِ- أشدُّ ألفَ مرّةٍ ومرّة من خِلافٍ (مذهبيٍّ) يُراد له التقارب! ويُدْعى فيه إلى التقريب!!

والدعاوى ما لم تُقيموا عليها
بيِّناتٍ أبناؤها أدعياءُ